ديوان
عبد الله بن المبارك

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

(١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

دار قتيبة

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حرب: ١٣٤١٤

بيروت - ص.ب: ٦٣٦٤-١٤

ديوان

عبد الله بن المبارك

الإمام الفقيه، والمجاهد الكبير
والعالم الشجاع
١١٨ - ١٨١هـ - ٧٣٦ - ٧٩٧م

جمعه ورتبه وشرحه وقدم له
محمد عبد الرحيم

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال صخر بن راشد:

«رأيت عبد اللّه بن المبارك في منامي بعد موته، فقلت: أليس قد مُتَّ؟

قال: بلى!

قلت: فما صنع بك ربّك؟

قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب.

قلت: فسفيان الثوري؟

قال: بخ بخ.. ذاك ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

ـ تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٩ ـ

إذَا سَارَ عبدُ اللّه مِنْ مَرو لَيلَة

فَقَدْ سَارَ مِنهَا نُورُها وَجَمَالها

إذَا ذُكِرَ الأَخبَارُ في كُلّ بلدة

فَهُمْ أَنجُمٌ فِيهَا وأَنت هِلاَلُها

ـ عمّار بن الحسن ـ

إني امرؤ ليس في ديني لغامزه

لين ولست على الإسلام طعَّانا

فلا أسبّ أبا بكر ولا عمراً

ولن أسبّ معاذ الله عثمانا

ولا ابن عمّ رسول الله أشتمه

حتى أُلبَّس تحت الترب أكفانا

ولا الزُّبير حواري الرَّسول ولا

أُهدي لطلحة شتماً عزَّ أو هانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سُبل

وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

عبد الله بن المبارك

لولا خمسة ما اتّجرت

السفيانان، وفُضيل،

وابن السّماك، وابن علية

ـ عبد الله بن المبارك ـ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهّار، العزيز الغفّار، مقدِّر الأقدار، الحكيم السَّتّار، خالق اللَّيل والنَّهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي بَعث من خلقِهِ من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفَّق من اجتباه من عبيده فجعله من المقرّبين الأبرار، ويصَّر من أحبّهُ فزهَّدهم في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهّب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه، والحذر من عذاب النّار، وأخذوا أنفسهم بالجدِّ في طاعته وملازمة ذكره بالعشيِّ والإبكار، وعند تغاير الأحوال وجميع آناء الليل والنَّهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار.

أَحمده أبلغ الحمد على جميع بلائه ونعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله العظيم، الواحد الأحد العزيز الحكيم، الفرد الصّمد الرَّحمٰن الرَّحيم، وأشهد أنَّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، وصفِيُّه وحبيبه وخليله، أفضل المخلوقين، وأكرم السّابقين واللاحقين، حامل الرِّسالة، ومؤدِّي الأمانة، صلوات الله وسلامه عليه

وعلى سائر إخوانه النَّبيِّين، وارضَ اللَّهمّ عن أصحابه، وأنصاره، وأهل بيته الطيّبين الطّاهرين، وآل كلٍّ أجمعين.

وبعد:

إن الأمر الرئيس الذي دفعني للاهتمام بشعر المجاهد الكبير والمحدّث العالم، والفارس الشجاع عبد اللّه بن المبارك هو ما امتاز به شعره من الحكمة الصادقة، والنصيحة الهادفة، ورسولنا الحبيب ﷺ يقول: «**الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك**»[1].

وصدق ابن القروي حيث يقول:

استقِ الحكمةَ لا يشغلكَ من ... أي ينبوعٍ جرتْ يا مستقي

فشعاع الشمس يمتصُّ النّدى ... من فمِ الوردِ ووحلِ الطرقِ

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: النهج الذي انتهجته وسرت عليه بمشيئة الله جلّ جلاله وبتوفيق منه، وهو إحداث دواوين شعرية للأئمة العلماء، والمسلمين الأفاضل الذين أبدعوا في علوم الإفتاء والحديث والتفسير والتأليف، ولم يعطوا للشعر أهمية كبرى في حياتهم رغم نظمهم الأشعار في حلّ كل مسألة، وفي كل مناسبة، كانت تعترض حياتهم.

فبعد أن وفّقني الله العزيز الكريم إلى جمع أشعار شيخ الإسلام

---

(١) أخرجه ابن عدي في الطبقات، وأبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه، «انظر: الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم ٣٨٢٧».

أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد اللَّه بن أَبي القاسم (ابن تيمية)، وأصدرتهم في كتاب حمل عنوان «ديوان شيخ الإسلام ابن تيمية»[1]، كذلك وفّقت بمشيئة الله إلى جمع أشعار حجّة الإسلام الإمام أَبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي، وجمعتهم في كتاب أصبح جاهزاً للطباعة.

وها أنذا أضع بين يديك أيّها القارىء الكريم ديوان الإمام الف قيه، والمجاهد الكبير، والعالِم الشجاع عبد اللَّه بن المبارك رحمه الله تعالى. أقدّم لبنة جديدة نيِّرة للمكتبة العربية الإِسلامية، وهو عمل جديد لم أسبق عليه والحمد لله.

وقد قمت بجمع أشعار هذا المجاهد من بطون أمّهات الكتب. والغريب في أمر هذا المجاهد أن العلماء والأساتذة والمحدِّثين الجُدد لم يتناولوا سيرته وشعره وجهاده وأخباره وقصصه، فالمؤلّفات فيه نزرة وشحيحة لذا كان من الصعب علي في جمع كل هذه الأشعار التي أوردتها في كتابي جمعتها من الكتب القديمة جداً والتي يرجع تاريخها إِلى أكثر من خمسمائة سنة وما فوق.

ولم أكتف بسرد الأشعار فقط وتدوينها، بل عمدت أول الأمر إِلى التأكّد من أن هذه الأشعار هي من نظم المجاهد عبد اللَّه بن المبارك أولاً وليس منسوبة أَو منحولة إليه، ومطابقتها مع أشعار له وردت في كتب أخرى، فثبّت في نهاية كل قصيدة مصادر الشعر للأمانة من جهة

(١) قامت دار الجيل في بيروت لصاحبها الأستاذ عبّود عبّود بنشره.

ولدحض الافتراءات على من سيدّعي بأنّها ليست له.

كذلك شرحت غريب كلماتها للتيسير فقط وليست للإطالة وعرَّفت بعض الأعلام التي وردت في الشعر أَو في كلمات التعريف عن القصيدة.

وقد قسَّمت كتابي إِلى خمسة فصول:

المقدِّمة:

ضمّت مقدّمة المؤلِّف، ومقدّمة ثانية هي عبارة عن سيرة الإمام عبد اللّه بن المبارك أختزتها ووفّقت فيها وهي لفضيلة الشيخ المحدِّث والمحقّق الهمّام الأستاذ حبيب الرَّحمن الأعظمي، ثبّتها في كتابي لجودتها وشموليتها، وكان دوري في مقال أستاذنا الأعظمي شرح غريب الكلمات وتوثيق ما لزم توثيقه فقط.

فالعلمُ ليسَ بنافعٍ أربابَهُ ما لم يفدْ عملاً وحُسنَ تبصّر

الفصل الأوّل:

من أقوال الإمام عبد اللّه بن المبارك، جمعتها من الكتب وهي في منتهى الفائدة إذا ما قيست إِلى شعره.

الفصل الثاني:

أقوال العلماء الكبار والمجتهدين الأجلاّء والمحدِّثين الأفاضل في إمامنا الجليل، وما رأوه فيه من أدب وعلم وشجاعة وكرم وشهامة وأخلاق.

الفصل الثالث:

جمعت في هذا الفصل خمساً وعشرين قصّة جرت مع المجاهد الكبير عبد اللّه بن المبارك، ووثّقت مصادرها، وشرحت غريب كلماتها، وعرّفت أعلامها وأماكنها، وأعدت صياغتها بشكل حواري جميل شيّق ليسهل على القارىء حفظ هذه القصص والتحدّث بها لأقرانه.

الفصل الرابع:

ضمّ هذا الفصل أشعار عبد اللّه بن المبارك، ونصائحه شعراً وقد يجد القارىء الكريم المرآة الصادقة، والشخصية الصافية لابن المبارك في هذه الأشعار، وقد يستطيع القارىء الذي يندمج في الشعر ويتأثّر به أن يتخيّل صورة وشكل ابن المبارك.

وعلى الرغم من أن أشعار ابن المبارك ليس فيها القصائد الطوال إلاّ أن معظمها معبّر وكامل.

لا تـطـل شِـعـرك وابـذل كـل جُـهـدٍ أن تـجـيـده
رُبَّ بـيـتٍ هـو إن أحـسـنـت خـيـرٌ مـن قـصـيـده

الفصل الخامس:

ضمّ هذا الفصل الفهارس ثبّتُّ فيه فهرساً لأوائل الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في الكتاب وفهرساً لأوائل الأحاديث النبوية الشريفة، وفهرساً للأعلام، وآخر للأماكن، وفهرساً للكتب، وفهرساً للقوافي وأخيراً الفهرس العام أي المحتوى.

لست هنا بالمدافع عن عملي، فالكمال لله وحده.

أسأل المولى عزّ وجلّ أن يسدّد خطانا، ويلهمنا رشدنا، وينفعنا بما علّمنا، إنّه ولي التوفيق.

والحمد لله أولاً وآخراً.

محمّد عبد الرحيم

دمشق في ٤/ جمادى الثانية/ ١٤١٠هـ.
١/ كانون الثاني/ ١٩٩٠م.

عبد الله بن المبارك

بقلم
المحدّث الشيخ حبيب الرّحمٰن الأعظمي

هو الإمام الحافظ العلاَّمة، شيخ الإسلام، فخر المجاهدين، قدوة الزاهدين، عبد اللّه بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرَّحمن الحنظلي، مولاهم المروزي، التركي الأب، الخوارزمي الأم، التاجر، السَّفّار، صاحب التصانيف النافعة، والرّحلات الشاسعة (بهذه النعوت والأوصاف، ذكره الذهبي إمام هذا الشأن[1]، ونعته الحافظ القرشي في الجواهر المضيئة بالإمام الربّاني الزاهد).

ميلاده وأصله:

وُلد هذا الإمام الجليل في دولة هشام بن عبد الملك[2] سنة ثمان عشرة ومائة أو بعدها بعام[3]، وقد أدرك كثيراً من التابعين، وذلك

(١) تذكرة الحفاظ: ١/٢٥٣.

(٢) مدة حكم هشام بن عبد الملك من سنة ١٠٥ ـ ١٢٥هـ.

(٣) في الأعلام للزركلي: ٤/١١٥: إن عبد اللّه بن المبارك ولد سنة ١١٨هـ الموافق ٧٣٦م.

العصر الزاهي على ما صرَّح به الذهبي عصر كان فيه الإسلام وأهله في عزٍّ تام، وعلم غزير، وأعلام الجهاد منشورة، والسّنن مشهورة، والبدع مكبوبة[1]، والقوّالون بالحقّ كثير، والعباد متوافرون، والناس في بلهنية[2] من العيش بالأمن، وكثرة الجيوش المحمّدية من أقصى المغرب، وجزيرة الأندلس إلى قريب مملكة الخطا، وبعض الهند، وإلى الحبشة، وكان هذا الوقت من الصالحين مثل إبراهيم بن أدهم، وداود الطائي وسفيان الثوري وغيرهم، ومن الفقهاء: كأبي حنيفة، ومالك والأوزاعي[3].

روى ابن الجوزي في المنتظم[4] عن الحسن قال: إن أُمّ ابن المبارك كانت تركية، وكان الشبه لهم بيّناً فيه، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعر[5].

وروى الخطيب عن ابن رزمة قال: سمعت ابن المبارك يقول: نظر أبو حنيفة إلى أبي فقال: أدّت أمّه إليك الأمانة، وكان أشبه الناس بعبد الله[6].

---

(١) مكبوبة: مصروعة، ومتساقطة ومتعثّرة.

(٢) البلهنية: الرخاء في العيش، يقال: هو في بلهنية من العيش أي: سعة ورخاء.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٢٤.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: كتاب لعبد الرّحمن الجوزي.

(٥) المنتظم: ٤/ ١٠٩.

(٦) تاريخ بغداد: ١٠/ ١٥٢.

طلبه للعلم وحفظه ومنزلته فيه:

قال أَبو أسامة: ما رأيت أطلب للعلم من عبد اللَّه بن المبارك.

قال عبدان: خرج عبد اللَّه إِلى العراق أول ما خرج سنة إحدى وأربعين.

قال أَحمد: لم يكن في زمانه أطلب للعلم منه، جمع أمراً عظيماً، ما كان أحد أقل سقطاً منه، كان رجلاً صاحب حديث، حافظاً وكان يحدِّث من كتاب.

قال ابن معين: كان كيِّساً مثبتاً ثقة، وكان عالماً صحيح الحديث، وكانت كتبه التي حدَّث بها عشرين ألفاً أَو واحداً وعشرين ألفاً.

قال إِبراهيم بن شماس: رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، وأحفظ الناس. فأمّا أفقه الناس، فابن المبارك. وأمّا أورع الناس: ففضيل بن عياض. وأمّا أحفظ الناس: فوكيع بن الجراح[1].

وذكر ابن معين أصحاب سفيان الثوري، فبدأ بابن المبارك، قال هم خمسة: ابن المبارك، ووكيع، ويحيى، وعبد الرَّحمن، وأَبو نعيم.

قال جعفر بن عثمان: قلت ليحيى بن معين: إذا اختلف يحيى القطان ووكيع؟ قال: القول قول يحيى. قلت: إذا اختلف عبد الرَّحمن ويحيى؟ قال: يحتاج من يفضل بينهما. قلت: أَبو نعيم

---

(١) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٢٤ و٣٨٥.

(٢) انظر: الفصل الثاني: باب قالوا في ابن المبارك من هذا الكتاب.

وعبد الرَّحمن؟ قال: يحتاج من يفضل بينهما. قلت: الأشجعي؟ قال: مات الأشجعي ومات حديثه. قلت: ابن المبارك؟ قال: ذاك أمير المؤمنين.

وقيل لابن معين: من كان أثبت في معمر، عبد الرزَّاق أَو عبد اللَّه بن المبارك؟ وكان متكئاً، فاستوى جالساً، وقال: كان ابن المبارك خيراً من عبد الرزَّاق وأهل قريته. ثم قال: تضم عبد الرزَّاق إِلى عبد اللَّه.

وقال إِبراهيم الحربي: إذا اختلف أصحاب معمر، فالقول قول ابن المبارك.

قال النضر بن مساور: قلت لابن المبارك: يا أبا عبد الرَّحمن! هل تحفظ الحديث؟ قال: فتغيّر لونه، وقال: ما تحفظت حديثاً، إنما آخذ الكتاب فأنظر فيه، فما أشتهيه علق بقلبي[1].

وقال صخر صديق ابن المبارك: كنا غلماناً في الكتّاب، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب، فخطب خطبة طويلة، فلما فرغ قال لي ابن المبارك: قد حفظتها، فسمعه رجل من القوم، فقال: هاتها، فأعادها ابن المبارك وقد حفظها[2].

وقال نعيم بن حمّاد: سمعت ابن المبارك قال: قال لي أَبي: لئن وجدت كتبك لأحرقنها، قال: وما عليَّ من ذلك، وهو في صدري.

---

(١) انظر القصة رقم (١١) من هذا الكتاب.

(٢) المرجع السابق القصة رقم (١٢).

وقال عبد الرَّحمن بن مهدي: الأئمة أربعة: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وحمّاد بن زيد، وابن المبارك.

وقال أيضاً: كان ابن المبارك أعلم من سفيان.

وجاء رجل إلى الثوري، فسأله عن مسألة، فقال: من أين أنت؟ قال: من أهل المشرق. قال: أَوَليس عندكم أعلم أهل المشرق؟ قال: ومن هو يا أبا عبد اللَّه؟ قال عبد اللَّه بن المبارك. قال: وهو أعلم أهل المشرق؟ قال: نعم، وأهل المغرب[1].

وقال عبد الرَّحمن بن أَبي جميل: كُنَّا حول ابن المبارك بمكّة، فقلنا: يا عالم المشرق حدِّثنا، وسفيان قريب منا، فسمع، قال: ويحكم عالم المشرق والمغرب وما بينهما.

وقال ابن عيينة[2] يوماً بعد وفاة عبد اللَّه: رحم الله عبد اللَّه، ما خلف بخراسان مثله، فقالوا: لا يرضون، قال: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: ولا بالعراق، فقال ابن عيينة ما أخلق، ما أخلق، ما أخلق، ثلاثاً.

ولما مات ابن المبارك، قال أمير المؤمنين هارون: مات سيّد العلماء.

وقال عمّار بن الحسن يمدح ابن المبارك:

---

(١) انظر: أقوال العلماء القسم (٢) من هذا الكتاب.

(٢) ابن عيينة: أي سفيان بن عيينة.

إذا سار عبد اللَّه من مرو ليلة
فقد سار منها نورها وجمالها

إذا ذكر الأحبار في كل بلدة
فهم أنجم فيها وأنت هلالها

وقال علي بن المديني: انتهى العلم إلى رجلين: إلى عبد اللَّه بن المبارك، ثم من بعده: يحيى بن معين.

وقال أيضاً: عبد اللَّه بن المبارك هو أوسع علماً من عبد الرَّحمن بن مهدي، ويحيى بن آدم[1].

وقال القواريري: لم يكن ابن مهدي يقدم عليه وعلى مالك في الحديث أحداً[2].

تحرّيه في الإسناد ومذاكرته في العلم وتوقيره:

سُئل ابن المبارك: عمن نأخذ؟ قال: من طلب العلم لله، وكان في إسناده أشد قد يلقى الرجل ثقة وهو يحدّث على غير ثقة، ويلقى الرجل غير ثقة وهو يحدّث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة.

وقال أَبو إِسحاق الطالقاني: سألت ابن المبارك عن الرجل يصلّي عن أبويه. فقال: من يرويه؟ قلت: شهاب بن خراش، قال: ثقة،

---

(١) تاريخ بغداد: ١٠/ ١٥٢ ـ ١٦٩.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٨٥.

عن من؟ قلت: عن الحجّاج بن دينار. قال: ثقة، عن من؟ قلت: عن النبي ﷺ. قال: بين النبي ﷺ وبين الحجّاج مفاوز[1] تنقطع فيها أعناق الإبل.

وقال نعيم بن حماد: ما رأيت ابن المبارك يقول قط: حدّثنا، كأنّه يرى أخبرنا أوسع، وكان لا يرد على أحد حرفاً إذا قرأ[2].

قال علي بن الحسن بن شقيق: قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث، وذاكرته، فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذّن فأذّنَ للفجر.

قال ابن أبي الحواري: جاء رجل من بني هاشم ليسمع من ابن المبارك، فامتنع، فقال الهاشمي لغلامه: قم بنا، فلما أراد الركوب جاء ابن المبارك ليمسك بركابه. فقال: يا أبا عبد الرَّحمن! لا ترى أن تحدّثني وتمسك ركابي؟ قال: رأيت أن أذلّ لك بدني، ولا أذلّ لك الحديث[3].

وقال بشر بن الحارث: سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي، فقال: هذا من توقير العلم، قال بشر: فاستحسنته جداً[4].

---

(١) المفاوز: المفرد: المفازة: الصحراء الواسعة التي لا ماء فيها، والموضع المهلك.

(٢) حلية الأولياء: ١٠/ ١٦٦.

(٣) انظر القصة رقم (١٥) من هذا الكتاب.

(٤) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٥ و١٠/ ١٦٦.

حبّه للعلم واجتهاده في نشره تحديثاً وتصنيفاً وطريقته في التعليم والإرشاد:

قال ابن الضريس: قيل لعبد اللّه بن المبارك: يا أبا عبد الرَّحمن: إلى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد[1].

قال أبو أسامة: مررت بعبد اللّه بن المبارك بطرسوس، وهو يحدّث فقلت: يا أبا عبد الرَّحمن: إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتموه ما هكذا أدركنا المشيخة، قال: فأضرب عن الحديث نحواً من عشرين يوماً، ثم مررت به وقد احتوشوه[2] وهو يُحدِّث فسلّمت عليه، فقال: يا أبا أسامة! شهوة الحديث[3].

وكان يقول: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إمّا أن يموت فيذهب علمه، وإما ينسى، وإمّا يصحب فيذهب علمه[4].

وكان يقول: أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضاً[5].

ومما يدل على حرصه للعلم أنّه قال: حملت عن أربعة آلاف شيخ، فرويت عن ألف منهم.

وقال الذهبي: حتى أنّه كتب عمّن هو أصغر منه.

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١١٣.

(٢) احتوشوه: أحاطوا به وامتلأوا.

(٣) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٥ و١٠/ ١٦٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٥ و١٠/ ١٦٦.

وقال: حدّث عن خلق لا يحصون من أهل الأقاليم، فإنّه من صباه ما فتر عن السَّفر.

وقال: إنّه دوّن العلم في الأبواب، والفقه، وفي الغزو، والزهد، والرقائق، وغير ذلك[1].

وقال ابن سعد: طلب العلم، وروى رواية كثيرة، وصنّف كتباً كثيرة في أبواب العلم، وصنوفه، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم، وقدم العراق، والحجاز، والشام، ومصر، واليمن، وسمع علماً كثيراً[2].

وقال ابن النديم: له كتاب السُّنن في الفقه، وكتاب التفسير، وكتاب التاريخ، وكتاب الزهد، وكتاب البرّ والصّلة.

قلت: وكان كبار العلماء من المحدِّثين وغيرهم يستفيدون من كتبه، وكان هو يحثّهم على أن يستفيدوا منه، فقد روى أَبو نعيم عن السندي بن أَبي هارون أنّه كان يقول: كنت أختلف مع ابن المبارك إلى المشايخ، فربما قلت له: يا أبا عبد الرَّحمن: ممن تستفيد؟ قال: من كتبنا[3].

وقال يحيى بن آدم: كنت إذا طلبت الدَّقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك أيست منه[4].

---

(١) تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٥٣.

(٢) طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٧٢.

(٣) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٥.

(٤) تاريخ بغداد: ١٠/ ١٦٥. وتذكرة الحفاظ: ١/ ٢٥٤.

وكان من دأبه رحمه الله أنّه كان لا يكتفي برواية الأحاديث وإلقاء الدروس فقط، بل كان ربما يوجّه أصحابه وتلاميذه إلى ما فيه رشدهم، ويدلّهم على ما فيه خيرهم، فكان يقول: الحديث مع الاثنين، أو الثلاثة، أو الأربعة، فإذا عظمت الحلقة فأنصت أو انشز[1].

قال أبو داود الطوسي: قلت لعبد الله بن المبارك: إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال: إنما كُره لكم منها، إنا أدركنا القرّاء وهم يؤتون تسمع قراءتهم، وأنتم تُدعون اليوم كما يُدعى المغنّون[2].

وكان يقول: ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا عن الرأي ما يفسّر لكم الحديث.

وربما أدّب بعضهم بالهجران وترك الكلام. قال الحارث: أكلت عند صاحب بدعةٍ أكلة، فبلغ ذلك ابن المبارك فقال: لا كلّمتُك ثلاثين يوماً[3].

وحكى المروزي راوي كتاب الزهد عنه أنّه قال: كن محبّاً للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهر من نفسك أنّك تحب الخمول فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد، لأنّك تجرّ إلى نفسك الثناء والمدحة[4].

---

(١) حلية الأولياء: ١٠/ ١٦٥ ـ ١٦٩.

(٢) حلية الأولياء: ١٠/ ١٦٥ ـ ١٦٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) صفة الصفوة: ٤/ ١١٢.

محاسن آدابه:

قال إِسماعيل بن علي بن إِسماعيل: بلغني عن ابن المبارك أنّه حضر عند حماد بن زيد، مسلّماً عليه، فقال أصحاب الحديث لحمّاد بن زيد: يا أبا إِسماعيل: تسأل أبا عبد الرَّحمن أن يحدِّثنا، فقال: يا أبا عبد الرَّحمن: أتحدّثهم فإنّهم قد سألوني، قال: سبحان الله يا أبا إِسماعيل، أُحدِّث وأنت حاضر؟ قال: فقال: أقسمت لتفعلن. قال: فقال ابن المبارك: خذوا، حدَّثنا أَبو إِسماعيل حماد بن زيد، فما حدّث بحرف إِلاَّ عن حمّاد بن زيد[1].

وقال يحيى بن يحيى الأندلسي: كنّا في مجلس مالك، فاستؤذن لابن المبارك، فأذن، فرأينا مالكاً تزحزح له في مجلسه، ثم أقعده بلصقه، ولم أره تزحزح لأحد في مجلسه غيره، فكان القارىء يقرأ على مالك، فربما مرّ بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا؟ فكان عبد اللّه يجيبه بالخفاء، ثم قام فخرج، فأعجب مالك أدبه، ثم قال لنا: هذا ابن المبارك فقيه خراسان[2].

وقال محمّد بن حميد: عطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: إيش يقول الرجل إذا عطس؟ قال: يقول: الحمد لله، قال: فقال له ابن المبارك: يرحمك الله. قال: فعجبنا كلّنا من حسن أدبه[3].

---

(١) انظر القصة رقم (١٠) من الكتاب.

(٢) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٦.

(٣) انظر القصة رقم (٦) من الكتاب.

وقد كانت هذه الآداب عنده من الدِّين بمكان، وكان يعتقدها مما لا بدّ منه لمن يمتّ إلى الإسلام بصلة، فقد ثبت أنّه كان يقول: كاد الأدب أن يكون ثلثي الدِّين[1]، وكان كأنه يتلهف فيقول: طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدّبون[2]، وأظنك إن تأمّلت في هذين الكلامين عرفت وجهة نظره في باب الأدب، وأدركت ما كانت منزلته عنده في الإسلام.

● سيـرتـــه:

ـ حبّه للخمول وإيثاره الخلوة:

روى ابن الجوزي عن الحسن أنّه قال: كانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة، صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم، أَو صاحب عبادة، أَو رجلاً له مروءة وقدر بمرو، إلاَّ رأيته في داره يجتمعون في كل يوم خلقاً يتذاكرون، حتى إذا خرج ابن المبارك انضمّوا إليه، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصَّلاة ثم يرجع إلى منزله، لا يكاد يخرج منه، ولا يأتيه كثير أحد، فقلت له: يا أبا عبد الرَّحمن: ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه، وأحببت ما ها هنا للذي أراك تكره لي، فكنت بمرو لا يكون أمر إلاَّ أتوني فيه، ولا مسألة إلاَّ قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا في عافية من ذلك.

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١٢٠.

(٢) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٩.

قال: وكنت مع ابن المبارك يوماً، فأتينا على ساقية والناس يشربون منها، فدنا ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلاَّ هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر[1].

وقال نعيم بن حماد: كان عبد اللَّه بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ.

وعن شقيق بن إبراهيم قال: قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين، قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم أنتم تغتابون الناس، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفرّ من الناس كفرارك من أسد، وتمسّك بدِينك يسلم لك[2].

ـ تقواه وخشيته:

قال الحسن: رأيت في منزل ابن المبارك حَمَاماً طائرة، فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم. قلت: ولم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك[3].

---

(١) صفة الصفوة: ٤/١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) صفة الصفوة: ٤/١١١.

(٣) انظر القصّة رقم (١٩) من الكتاب.

وقال علي بن الحسن بن شقيق: سمعت ابن المبارك يقول: لأن أردّ درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدّق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف[1].

وقال الحسن بن عرفة: قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهب عليّ أن أردّه إلى صاحبه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي أرض الشام حتى رددته على صاحبه.

وعن القاسم بن محمّد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا؟ حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة، إن كان يصلي، إنا لنصلي، وإن كان يصوم، إنّا لنصوم، وإن كان يغزو فإنّا لنغزو، وإن كان يحج، إنا لنحج، قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذا طفيء السِّراج، فقام بعضنا فأخذ السِّراج وخرج يستصبح، فمكث هنيهة ثم جاء بالسِّراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعلّه حين فقد السِّراج فصار إلى ظلمة ذكر القيامة[2].

وعن نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١١٤.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ١٢٠.

فكأنّه بقرة منحورة من البكاء لا يجترىء أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء[1].

ـ تـواضعـه:

قال الحسن: بينا هو بالكوفة يُقرأ عليه كتاب المناسك انتهى إلى حديث وفيه: قال عبد اللّه وبه نأخذ، فقال من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكّه بيده حتى دَرَسَ. ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي[2].

قال: وزوّج النضر بن محمّد ولده، دعى ابن المبارك، فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس، فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس[3].

ـ كرمه ومروءته:

وكان رحمه الله يقول: إذا عرف الرجل قدر نفسه يصيِّر نفسه أذلّ من الكلب، قال علي بن الحسن بن شقيق: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحجّ اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرَّحمن! فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد،

---

(١) المرجع السابق: ٤/ ١١٢.

(٢) انظر القصّة رقم (٢٠) من الكتاب.

(٣) صفة الصفوة: ٤/ ١١٠.

فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرَّسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرفها؟ فيقول: كذا، ثم يخرجهم من المدينة، فإذا وصلوا إلى مكّة. فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكّة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم، ويخرجهم من مكّة فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو، جصَّصَ أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرّته بعد أن كتب عليها اسمه[1]. قال أَبي: أخبرني خادمه أنّه عمل آخر سفرة سافرها دعوة فقدَّم إلى الناس خمسة وعشرين خواناً[2] فالوذج[3].

وقال محمّد بن عيسى: كان عبد اللّه بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقّة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، قال: فقدم الرّقّة مرّة فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً فخرج في النفير. فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرُّقة، سأل عن الشاب فقالوا: إنّه محبوس لدَين ركبه،

---

(١) انظر القصّة رقم (٣) من الكتاب.

(٢) الخوان: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل.

(٣) الفالوذج: حلواء تعمل من الدّقيق والماء والعسل، وتصنع الآن من النشادر والماء والسكر.

فقال عبد اللَّه: وكم مبلغ دَينه؟ قالوا: عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دُلَّ على صاحب المال، فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم، وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد اللَّه حياً، وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس. وأدلج[1] عبد اللَّه، وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد اللَّه بن المبارك كان ها هنا، وكان يذكرك وقد خرج، فخرج الفتى في أثره، فلحقه على مرحلتين أَو ثلاث من الرّقّة، فقال: يا فتى: أين كنت لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرَّحمن، كنت محبوساً بدين، قال: وكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى دَيني. ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس، فقال له عبد اللَّه: يا فتى أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دَينك، فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلاَّ بعد موت عبد اللَّه[2].

وقال سلمة بن سليمان: جاء رجل إلى عبد اللَّه بن المبارك فسأله أن يقضي دَيناً عليه، فكتب إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدَّين الذي سألت فيه عبد اللَّه أن يقضيه عنك؟ قال: سبعمائة درهم، فكتب إلى عبد اللَّه إن هذا الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم، فكتبت له بسبعة آلاف، وقد فنيت الغلاّت، فكتب إليه عبد اللَّه: إن كانت الغلاّت قد فنيت فإن العمر أيضاً قد فني، فأجر له ما سبق به قلمي[3].

---

(١) أدلج: سار ليلاً.

(٢) انظر القصّة رقم (٨) من الكتاب.

(٣) انظر القصّة رقم (٧) من الكتاب.

وقال إسماعيل بن عياش: حدَّثني أصحابي أنّه صحبوه من مصر إلى مكّة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم.

وحكى ابن كثير أن سفرته كانت تحمل على بعير وحدها وفيها من أنواع المأكول من اللّحم، والدجاج، والحلو، وغير ذلك، ثم يطعم الناس وهو الدّهر صائم في الحر الشديد.

ـ إنفاقه على العلماء والفقراء وتكسّبه لهم:

قال علي بن الحسن بن شقيق: بلغنا أنّه قال للفضيل بن عياض: لولا أنت وأصحابك[1] ما اتّجرت، قال: وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم[2].

وقال حبان بن موسى: عوتب ابن المبارك في ما يفرّق من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك، فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب، فاحتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعنّاهم بثُّوا العلم لأمّة محمّد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوّة أفضل من بثّ العلم[3].

وقال علي بن الفضيل: سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلّل، والبلغة، وتراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي!

---

(١) يعني: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة.

(٢) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٦، وصفة الصفوة: ٤/ ١١٧.

(٣) صفة الصفوة: ٤/ ١١٣ وتاريخ بغداد: ١٠/ ١٦٠.

إنما أفعل ذا لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربّي، لا أرى لله حقّاً إلاّ سارعت إليه حتى أقوم به، فقال له الفضيل: يا ابن المبارك: ما أحسن ذا، إن تمَّ ذا[1].

وروى الخطيب أن ابن المبارك خرج من بغداد يريد المصيصة[2]، فصحبه الصوفية، فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم، يا غلام هات الطست، فألقى على الطست منديلاً، ثم قال: يلقي كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، قال: فجعل الرجل يلقي عشرة دراهم والرجل يلقي عشرين، فأنفق عليهم إلى المصيصة، فلما بلغ المصيصة، قال: هذه بلاد نفير، فنقسم ما بقي، فجعل يعطي الرجل عشرين ديناراً، فيقول: يا أبا عبد الرَّحمن! إنما أعطيت عشرين درهماً، فيقول: وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته[3].

وقال العيشي: ثنا الحمادان أن ابن المبارك كان يتجر ويقول: لولا خمسة ما اتجرت: السفيانان، وفضيل، وابن السماك، وابن علية، فيصلهم، فقدم سنة، فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله، فركب ابن علية إليه فلم يرفع به رأساً، فانصرف، فلما

---

(١) انظر القصّة رقم (٩) من الكتاب.

(٢) المصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية، وبلاد الروم، وكانت من الأماكن التي يرابط بها المسلمون قديماً. كانت تشتهر بصناعة الغراء وتحمل منها إلى الآفاق.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠/١٥٧.

كان من غد كتب إليه رقعة يقول: قد كنت منتظراً لبرّك وجئتك فلم تكملني، فما رأيته مني؟ فقال ابن المبارك: يأبى هذا الرجل إلاَّ أن تقشر له العصاء، ثم كتب إليه[1]:

يا جاعل العلم له بازياً ... يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدِّين
فصرت مجنوناً بها بعدما ... كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فيما مضى ... عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك في سردها ... في ترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فذا باطل ... زلّ حمار العلم في الطِّين

فلما وقف على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء، فوطىء بساط الرشيد، وقال: الله، الله.. أرحم شيبتي، فإني لا أصبر على القضاء، قال: لعل هذا المجنون أغراك. ثم أعفاه، فوجه إليه ابن المبارك بالصرّة.

وقيل: إن ابن المبارك إنما كتب إليه بهذه الأبيات لما ولي صدقات البصرة، وهو الصحيح[2].

ـ جمعه لصنوف الفضائل:

قال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبد اللَّه بن

---

(١) انظر القصيدة رقم (٥٥) في الكتاب.

(٢) تهذيب التهذيب: ١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

المبارك ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلاَّ وقد جعلها الله في عبد اللّه بن المبارك[1].

وقال الحسن بن عيسى: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين وغيرهما، فقالوا: تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة، والزهد، والورع، والإنصات، وقيام الليل، والعبادة، والحجّ، والغزو، والفروسية، والشجاعة، والشدّة في بدنه، وترك الكلام في ما لا يعنيه، وقلّة الخلاف على أصحابه[2].

قال ابن حبان في الثقات: كان فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه من الأرض كلّها[3].

فصاحته:

قال ابن جريج: ما رأيت عراقياً أفصح منه[4].

وقال العمري الزاهد فيه: فصيح اللسان إلاَّ أن اللّغة شرقية[5].

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١١٩ وتاريخ بغداد: ١٠/ ١٥٧.

(٢) انظر فصل: قالوا في عبد اللّه بن المبارك في هذا الكتاب.

(٣) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٦ والفوائد البهية: ١٤٠.

(٤) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٦.

(٥) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٢.

شدّة بأسه في مراكز الجهاد:

قال عبدة بن سليمان: كنا في سرية مع عبد اللّه بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصّفّان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنهُ طعنة فقتله ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارد ساعة فطعنه فقتله فأزدحم الناس عليه، وكنت فيمن أزدحم عليه فإذا هو يلثم وجهه بكمّه، فأخذت بطرف كمّه فمددته فإذا هو عبد اللّه بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنّع علينا[1].

تقدّمه على أقرانه وإطباق الناس على إمامته وثناء الأئمّة عليه[2]:

قال الأوزاعي لعبد الرّحمن بن يزيد الجهضمي: رأيت ابن المبارك؟ قال: لا، قال: لو رأيت لقرّت عينك.

وقال ابن أبي رزمة: قال لي شعبة: عرفت ابن المبارك؟ قال: نعم، قال: ما قدم علينا من ناحيتكم مثله.

وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبد اللّه بن المبارك.

وقال أبو أسامة: كان ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس.

---

(١) انظر القصّة رقم (١٤) من الكتاب.

(٢) انظر الفصل الثاني: قالوا في عبد اللّه بن المبارك من الكتاب.

وقال محمّد بن عبد الوهّاب الفراء: ما أخرجت خراسان مثل هؤلاء الثلاثة: ابن المبارك، والنضر بن شميل، ويحيى بن يحيى.

وقال ابن مهدي: ما رأيت رجلاً أعلم بالحديث من الثوري، ولا أحسن عقلاً من مالك، ولا أقشف من شعبة، ولا أنصح لهذه الأمّة من عبد اللّه بن المبارك.

وقيل لابن مهدي مرة: أيهما أفضل عندك، ابن المبارك أَو سفيان الثوري؟ فقال: ابن المبارك، فقيل: إنّ الناس يخالفونك، قال: إن الناس لم يجرّبوا.

وقدم ابن مهدي بغداد في بيع دار له، فاجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: جالست سفيان الثوري وسمعت من عبد اللّه فأيهما أرجح؟ فقال: ما تقولون؟ لو أن سفيان جهد جهده على أن يكون يوماً مثل عبد اللّه لم يقدر.

وقال سفيان نفسه: إني لأشتهي من عمري كلّه أن أكون سنة واحدة مثل عبد اللّه بن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

وكان أَبو إِسحاق الفزاري يقول: ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين، قال المسيب بن واضح: ورأيت أبا إسحاق بين يدي ابن المبارك قاعداً يسائله.

قلت: وهل تدري من أَبو إِسحاق هذا؟ من كان الأوزاعي يقول فيه: إنه والله خير مني، وقال أَبو داود الطيالسي: ما على وجه الأرض أفضل منه.

وقال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك، فما رأيت لهم فضلاً إلاَّ بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه[1].

ونعي إليه ابن المبارك فقال: لقد كان فقيهاً، عالماً، عابداً، زاهداً، شيخاً، شجاعاً، شاعراً[2].

ونعي إلى الفضيل بن عياض فقال: رحمه الله أما إنّه ما خلف بعده مثله[3].

وقال شعيب بن حرب: ما لقي ابن المبارك رجلاً إلاَّ وابن المبارك أفضل منه[4].

وقال الحاكم: هو إمام عصره في الآفاق، وأولاهم بذلك علماً، وزهداً، وشجاعة، وسخاء[5].

وقال النسائي: لا نعلم في عصر ابن المبارك أجلّ من ابن المبارك، ولا أعلى منه، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه[6].

وقال الأسود بن سالم: إذا رأيت الرجل يغمز ابن المبارك فاتّهمه على الإسلام.

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١١٣ وتاريخ بغداد: ١٠/ ١٦٣.

(٢) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٥.

(٣) صفة الصفوة: ٤/ ١١١.

(٤) تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٤.

(٥) المرجع السابق: ٥/ ٣٨٦.

(٦) المرجع السابق: ٥/ ٣٨٧.

وقال الخليلي في الإرشاد: ابن المبارك الإمام المتفق عليه، له من الكرامات ما لا يحصى.

وقال أَبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء على قبوله، وجلالته، وإمامته، وعدله[1].

وقال: لا أعلم أحداً من الفقهاء سلم أن يقال فيه شيء إلاَّ عبد اللَّه بن المبارك[2].

وقال أشعث بن شعبة المصيصي: قدم هارون الرشيد الرّقّة، فانجفل الناس خلف عبد اللَّه بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فلما رأت الناس قال: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، قدم الرّقّة يقال له عبد اللَّه بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس، إلاَّ بشرط وأعوان[3].

وقال الذهبي في تذكرة الحفّاظ: والله إنّي لأحبّه وأرجو الخير بحبّه لما منحه الله من التقوى، والعبادة، والإخلاص، والجهاد، وسعة العلم، والإتقان، والمواساة، والفتوة، والصفات الحميدة[4].

---

(١) البداية والنهاية: ١٠/ ١٧٩.

(٢) الجواهر المضيئة: ١/ ٢٨٢.

(٣) صفة الصفوة: ٤/ ١١٢.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٥٤.

غرر كلماته[1]:

قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: التكبّر على الأغنياء.

وكان يقول: لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ.

وعن عبيد اللّه بن عمر السرخسي قال: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله.

وعن فضيل بن عياض قال: سُئل ابن المبارك من الناس؟ قال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهّاد. قيل: فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل بدَينه.

وقال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ فقال: هل تعرف من يقبل.

وقال: كاد الأدب يكون ثلثي الدين.

وقال: طلبنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا.

وقال: إن الصَّالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلاَّ على كره ينبغي لنا أن نكرهها.

---

(١) راجع كل هذا في الفصل الأول من كتابنا: من أقوال عبد اللّه بن المبارك، وفي صفة الصفوة: ٤/ ١١٤ ـ ١٢١.

وقام رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرَّحمن! في أي شيء أجعل أفضل يومي، في تعلّم القرآن، أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم. قال: فاجعله في طلب العلم الذي تعرف به القرآن[1].

وسئل عبد اللّه بن المبارك: ما ينبغي للعالم أن يتكرّم عنه؟ قال: ينبغي أن يتكرَّم عما حرّم الله تعالى عليه، ويرفع نفسه عن الدنيا، فلا تكون منه على بال.

وقال: زيادة آخرتكم لا تكون إلاَّ بنقصان دنياكم، وزيادة دنياكم لا تكون إلاَّ بنقصان آخرتكم.

وقال: حب الدنيا في القلب، الذنوب احتوشته، فمتى يصل الخير إليه.

وقال: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يطعموا أطيب ما فيها، قيل له: ما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عزّ وجلّ.

وفاة ابن المبارك:

قال الحسن بن الرّبيع: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير يقول: يا أبا عبد الرَّحمن! قل: لا إله إلاَّ الله، فقال له: يا نصير، قد ترى شدّة الكلام عليّ، فإذا سمعتني قلتها فلا تردها عليّ

(١) حلية الأولياء: ٨/ ١٦٥.

حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاماً، فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك[1].

قال عبدان والحسن بن الرّبيع: مات ابن المبارك في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة.

قال محمّد بن فضيل بن عياض: رأيت عبد اللّه بن المبارك في المنام، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه، قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم. قلت: وأي شيء صنع بك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلّمتني امرأة من أهل الجنّة أو امرأة من الحور العين.

خادم السُّنّة المطهرة

حبيب الرّحمن الأعظمي

(١) انظر القصّة رقم (٢٣) من الكتاب.

(١)

من أقوال عبد الله بن المبارك

- طلبنا العلم للدنيا فدلّنا على ترك الدنيا.
- أفضل الزهد إخفاء الزهد.
- كان عبد اللّه بن المبارك يُكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه.
- عوتب ابن المبارك فيما يفرّق المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده، قال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث، بحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع عليهم، وإن أعنّاهم بثّوا العلم لأمّة محمّد ﷺ، ولا أعلم بعد النبوّة أفضل من بثّ العلم.
- أُحبّ الصالحين، ولستُ منهم، وأُبغِضُ الطالحين، وأنا شرٌّ منهم.
- سئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنّا نهينا أن نتكلّم عند أكابرنا.
- ليكن مجلسُك مع المساكين واحذر أن تجلس مع صاحب بدعة.
- الحِبْرُ في الثوب خَلُوق العلماء.

● قال أَبو صالح الفرَّاء: سألتُ ابن المبارك عن كتابة العلم، فقال: لولا الكتابُ ما حفظنا.

● من استخفّ بالعلماء، ذهبت آخرتُه، ومن استخفَّ بالأمراء، ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان، ذهبت مروءته.

● سئل ابن المبارك: مَنِ السَّفلة؟ قال: الذي يدور على القضاة يطلبُ الشهادات.

● قيل لابن المبارك: إلى متى تكتُبُ العلم؟ قال: لعل الكلمَة التي أنتفع بها لم أَكتُبْها بعد.

● إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يُدْرَى ما يصنع فيه الربُّ عزَّ وجل، وعمر قد بقي لا يُدْرَى ما فيه من الهَلَكَةِ، وفضل قد أُعطي العبدُ لعله مكرٌ واستدراجٌ، وضلالة قد زُيِّنَت، يراها هدىً، وزيغ قلب ساعة فقد يُسلب المرء دينَه ولا يشعر.

● السَّيفُ الذي وقع بين الصحابة فتنةٌ، ولا أقول لأحد منهم هو مَفْتونٌ.

● في صحيح الحديث شُغْلٌ عن سقيمه[1].

● رُبَّ عمل صغير تُكَثِّره النيّةُ، ورب عمل كثير تصغِّره النيّة.

---

(١) لقد صدق هذا الإمام رحمه الله، فإن ما صحّ من حديث رسول الله ﷺ غناء وأي غناء عن الأحاديث الضعيفة، ذات الضرر السيّىء بالعقيدة والعبادة والسلوك، وقد نبّه غير واحد من الأئمة على تجنّب رواية الحديث، والاستشهاد به ما لم تعلم صحته من طريق حافظ مشهور مثبت من حفّاظ الحديث.

- إذا غَلَبَتْ محاسِنُ الرجل على مساوئه لم تُذكر المساوىء، وإذا غلبت المساوىء على المحاسن لم تُذكر المحاسن.
- عجبتُ لمن لم يطلُب العلم، كيف تدعوه نفسُهُ إلى مكرُمة.
- من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما موتٌ يُذْهبُ علمَه، وإما يَنْسى، وإمّا يلزمُ السلطانَ، فيذهب علمه.
- حبُّ الدنيا في القلب والذّنوب قد احتوشته، فمتى يصِلُ الخيرُ إليه؟
- لو اتّقى الرَّجُل مئة شيء، ولم يتّق شيئاً واحداً لم يكُ من المتّقين، ولو تورَّع عن مئة شيء سوى شيء واحد لم يكن ورعاً، ومن كانت فيه خلّةٌ من الجهل كان من الجاهلين، أما سمعت الله يقول لنوح عليه السَّلام من أجل ابنه: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1].
- لا يقعُ موقع الكسبِ على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله.
- حملت العلم عن أربعة آلاف شيخ، فرويت عن ألف شيخ[2].
- روى المسيب بن واضح: أنّه سمع ابن المبارك، وسأله رجل: عمن يأخذ؟ فقال: قد يلقى الرجل ثقةً، وهو يُحدِّث عن غير ثقة، وقد يلقى الرجُل غيرَ ثقة يُحدِّث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون: ثقة عن ثقة.
- قال رجل لابن المبارك: أوصني، فقال له: أعرف قدرك.

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) هذا القول رواه العباس بن مصعب، فتتبع العباس شيوخه حتى وَقَعَ له ثمانمئة شيخ.

- كاد الأدب يكون ثلثي الدِّين.
- إن الصَّالحين فيما مضى كانت أنفسهم تُواتيهم على الخير عفْواً وإنّ أَنفسنا لا تكاد تواتينا إلاَّ على كُرهٍ، فينبغي لنا أن نُكرِهَها.
- قال الحسين بن الحسن المروزي: سمعت ابن المبارك يقول: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يَتَطَعَّموا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عزّ وجلّ.
- قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: التكبّر على الأغنياء.
- كن محباً للخمول كراهيةَ الشهرة، ولا تُظهر من نفسك أنّك تحب الخمول فترفعَ نفسك، فإن دعواك الزهدَ من نفسك هو خروجك من الزهد لأنّك تجرّ إلى نفسك الثناء والمدحة.

(٢)

قالوا في عبد الله بن المبارك

● ما على وجه الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلاَّ وقد جعلها الله في ابن المبارك.

- إسماعيل بن عياش -

● مَرَرْتُ بِقَبْرِ ابنِ المُبارك غَدْوةً
فَأَوْسَعَني وَعظاً وَلَيْسَ بِناطِقِ
وَقَدْ كُنْتُ بِالعِلْمِ الَّذِي في جَوَانِحِي
غَنِيّاً وبِالشَّيْبِ الَّذي في مَفَارقي
وَلَكِنْ أَرَى الذِّكْرى تُنَبِّهُ غَافِلاً
إِذا هِيَ جَاءَتْ مِنْ رِجَالِ الحَقَائِقِ

شاعر (سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤١٩)

● ما خلَّف بالمرو مثله.

- سلام بن أبي مطيع -

● قال الإمام الأوزاعي رضي الله عنه لأبي عثمان الكلبي: رأيت عبد اللَّه بن المبارك؟ قال: لا. قال: لو رأيته لقرّت عينك.

الجرح والتعديل: ٥/ ١٧٩

● لم يكن في زمان ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه.

ـ أحمد بن حنبل ـ

● ما رأيت مثل ابن المبارك تُصيب عنده الشيء الذي لا يُصاب عند أحد.

ـ معتمر بن سليمان ـ

● رحمه الله، لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً سخيّاً شاعراً شجاعاً.

ـ سفيان بن عيينة ـ

● قال نعيم بن حماد: قلت لعبد الرَّحمن بن مهدي: أيّهما أفضل عندك ابن المبارك أَو سفيان؟ فقال: ابن المبارك، فقلت: إن الناس يخالفونك. فقال: إن الناس لم يجرّبوا. ما رأيت مثل ابن المبارك.
(الجرح والتعديل: ٥/ ١٧٩)

● عبد اللَّه بن المبارك اجتمع فيه: فقه وسخاء وشجاعة وغزو وأشياء.

ـ أبو زرعة ـ

● قال ابن أَبي رزمة: سمعت أَبي قال: قال لي شعبة: عرفت ابن المبارك؟ قلت: نعم، قال: ما قدم علينا من ناحيته مثله.
(الجرح والتعديل: ٥/ ١٧٩)

● عبد اللَّه بن المبارك ثقة إمام.

ـ المديني ـ

● عبد اللَّه بن المبارك ثقة.

ـ علي بن المديني ـ

● قال محمّد بن المعتمر: قلت لأَبي: من فقيه العرب؟ قال: سفيان الثوري، فلما مات سفيان، قلت: يا أبه من فقيه العرب؟ قال: عبد اللّه بن المبارك.

(الجرح والتعديل: ٥/ ١٧٩)

● عبد اللّه بن المبارك خراساني ثقة، ثبت في الحديث، رجل صالح، وكان يقول الشعر، وكان جامعاً للعلم.

ـ أحمد بن عبد اللّه العجلي ـ

● جمع عبد اللّه بن المبارك: الحديث، والفقه، والعربية، وأيّام الناس، والشجاعة والتجارة، والسخاء، والمحبة عند الفرق.

ـ العباس بن مصعب ـ

● ما أخرجت خراسان مثل هؤلاء الثلاثة: ابن المبارك، والنضر بن شميل، ويحيى بن يحيى.

ـ محمّد بن عبد الوهّاب الفراء ـ

● كنت إذا طلبت الدَّقيق من المسائل، فلم أجده في كتب ابن المبارك، أيست منه.

ـ يحيى بن آدم ـ

● قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين الرّقّة، فأنجفل الناس خلف عبد اللّه بن المبارك، وتقطّعت النِّعال، وأرتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالِم من أهل خراسان قدم الرّقّة، يقال له

عبد اللَّه بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع إلاَّ بِشُرط وأعوان.

ـ شعيب بن شعبة المصيصي ـ

● ما على وجه الأرض مثل عبد اللَّه بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خَصْلة من خصال الخير إلاَّ وقد جعلها في عبد اللَّه بن المبارك.

ـ إسماعيل بن عياش ـ

● إني لأشتهي من عمري كلّه أن أكون سنة واحدة مثل عبد اللَّه بن المبارك، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

ـ سفيان الثوري ـ

● جاء رجل فسأل سفيان الثوري عن مسألة، فقال له: من أين أنت؟ فقال: من أهل المشرق، قال: أوَ ليس عندكم أعلم أهل المشرق؟ قال: ومن هو يا أبا عبد اللَّه؟ قال: عبد اللَّه بن المبارك. قال: وهو أعلم أهل المشرق؟ قال: نعم، وأهل المغرب.

● إذا سَارَ عبد اللَّه من مرو ليلة فقد سار منها نورُها وجمالها
إذا ذكر الأحبار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها

ـ عمّار بن الحسن ـ

● ما رأيت أحداً يحدِّث لله إلاَّ ستة نفر، منهم عبد اللَّه بن المبارك.

ـ يحيى بن معين ـ

● ما رأيت رجلاً أعلم بالحديث من سفيان الثوري، ولا أحسن عقلاً

من مالك، ولا أفقه من شعبة، ولا أنصح لهذه الأمّة من عبد اللَّه بن المبارك.

ـ عبد الرَّحمن بن مهدي ـ

● قدم عبد الرَّحمن بن مهدي بغداد في بيع دار له، فاجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: جالست سفيان الثوري وسمعت منه، وسمعت من عبد اللَّه، فأيّهما أرجح؟ فقال: ما تقولون! لو أن سفيان جهد جهده على أن يكون يوماً مثل عبد اللَّه لم يقدر.

● ابن المبارك إمام المسلمين.

ـ أبو إسحاق الفزاري ـ

● نظرت في أمر الصحابة، وأمر ابن المبارك، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلاّ بصحبتهم النبي ﷺ، وغزوهم معه.

ـ سفيان بن عيينة ـ

● قال عبد الرَّحمن بن حميل: كنا حول ابن المبارك بمكّة، فقلنا له: يا عالم المشرق حدِّثنا، وسفيان قريب منّا، فسمع وقال: ويحكم عالم المشرق والمغرب وما بينهما.

● رحم الله عبد اللَّه، ما خلَّف بخراسان مثلَه.

ـ سفيان بن عيينة ـ

● انتهى العلم إلى رجلين: إلى عبد اللَّه بن المبارك، ثم من بعده إلى يحيى بن معين.

ـ علي بن المديني ـ

● كان عبد اللّه بن المبارك رحمه الله كيّساً مستثبتاً ثقة، وكان عالِماً صحيح الحديث.

- يحيى بن معين -

● رأيت أفقه الناس، وأورع الناس، وأحفظ الناس، فأمّا أفقه الناس فابن المبارك، وأما أورع الناس ففضيل بن عياض، وأما أحفظ الناس فوكيع بن الجراح.

- إبراهيم بن شماس -

● أصحاب سفيان هم خمسة: ابن المبارك، ووكيع، ويحيى، وعبد الرَّحمن، وأَبو نعيم.

- يحيى بن معين -

● قال جعفر بن أَبي عثمان الطيالسي: قلت ليحيى بن معين: إذا اختلف يحيى القطان ووكيع؟ قال: القول قول يحيى. قلت: إذا اختلف عبد الرَّحمن ويحيى؟ قال: يحتاج من يفضل بينهما. قلت: أَبو نعيم وعبد الرَّحمن؟ قال: يحتاج من يفضل بينهما. قلت: الأشجعي؟ قال: مات الأشجعي ومات حديثه معه. قلت: ابن المبارك؟ قال: ذاك أمير المؤمنين.

- تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٥ -

● سُئل إبراهيم الحربي: إذا اختلف أصحاب معمر فالقول قول من؟ قال: القول قول ابن المبارك.

- تاريخ بغداد: ١٠/ ١٦٥ -

● عبد اللَّه بن المبارك مروزي ثقة.

ـ يوسف بن خراش ـ

● العجب ممن يسمع الحديث من ابن المبارك عن رجل ثم يأتي الرجل حتى يحدّثه به.

ـ محمّد بن مزاحم ـ

● يقال: إن الرشيد لما بلغه موتُ عبد اللَّه بن المبارك قال: مات اليوم سيد العلماء.

● قال علي بن الخَشْرَم: قلت لعيسى بن يونس: كيف فَضَلكم ابن المبارك، ولم يكن بأسنَّ منكم؟ قال: كان يقدم، ومعه الغِلْمَةُ[1] الخراسانية، والبِزَّة الحسنة، فيصلُ العلماء، ويُعطيهم، وكنا لا نَقدِرُ على هذا.

● إن عبد اللَّه كان يتصدَّق لمقامه ببغداد كُلَّ يومٍ بدينار.

ـ منصور بن دينار ـ

● كان عبد اللَّه يُعجبه إذا خَتَم القرآنَ أن يكون دعاؤه في السجود.

ـ عبد الكريم السُّكَّري ـ

● كان ابنُ المبارك يُحَدِّثُ مِن الكتاب، فلم يكن له سَقط كثيرٌ، وكان وكيع يُحدِّث من حفظه، فكان يكون له سقط، كم يكون حفظ الرجل.

ـ أحمد بن حنبل ـ

---

(١) الغلمة: المفرد: غلام، أي: الصبي من حين يولد إلى أن يشب، أو الصبي حين يقارب سن البلوغ، أو الخادم الصغير.

● كنت أجالس العلماء بالكوفة، فإذا تشاجروا في حديث قالوا: مُرُّوا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله، يعنون ابن المبارك.

ـ فَضَالة النَّسائي ـ

● كل حديث لا يعرفه ابنُ المبارك فنحن منه براء.

ـ عبد الله بن إدريس ـ

● اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك فقالوا: تعالوا حتى نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللّغة، والشعر، والفصاحة، والزُّهد، والورع، والإنصات، وقيام الليل، والعبادة، و الحجّ، والغزو، والفروسية، والشجاعة، والشدّة في بدنه، وترك الكلام في ما لا يعنيه، وقلّة الخلاف على أصحابه.

ـ تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٨٥ ـ

● أول من صنّف ودوّن العلم ورتّبه على الأبواب: مالك بالمدينة، وابن جريج بمكة، والربيع بن صبيح أَو سعيد بن أَبي عروبة أَو حماد بن سلمة بالبصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، والأوزاعي بالشام، وهيثم بواسط، ومعمر باليمن، وجرير بن عبد الحميد بالرّي، وابن المبارك بخراسان.

ـ الإمام السيوطي ـ

(٣)

قصص عبد الله بن المبارك

الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها

● صورة طريفة لسيدة مؤمنة آلت على نفسها ألاّ تتكلّم إلاّ بالقرآن الكريم، يرويها عبد الله بن المبارك حدثت له بعد انتهائه من الحجّ والزيارة، ويقول: «خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الحبيب المصطفى ﷺ، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد، فتميزت ذاك، فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف أيضاً.

عبد اللّه : السّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

العجوز : ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(١).

عبد اللّه : يرحمكِ الله... ما تصنعين في هذا المكان؟.

العجوز : ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾(٢)..

[فعلم عبد اللّه أنّها ضالّة عن الطّريق وقال لها]:

عبد اللّه : وأين تريدين؟

---

(١) سورة يس، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٦.

العجوز : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1].

[فعلم أنها قد قضت حجها، وهي تريد بيت المقدس][2].

عبد الله : أنتِ مُذْ كَمْ في هذا الموضع؟

العجوز : ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[3].

عبد الله : ما أرى معك طعاماً تأكلين؟

العجوز : ﴿هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾[4].

عبد الله : فبأيّ شيء تتوضئين؟

العجوز : ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[5].

عبد الله : إن معي طعاماً، فهل لك في الأكل؟

العجوز : ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[6].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١ ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ﴾: تنزيهاً لله وتعجيباً من قدرته ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾: جعل البراق يسري به ﷺ.

(٢) بيت المقدس: هي القدس عاصمة فلسطين، مدينة قديمة تعود آثارها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، فتحها الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه سلماً فسلمه بطريركها مفتاحها عام ٦٣٨م، وبعد أن احتلها الصليبيّون عام ١٠٩٩م حررها البطل صلاح الدّين الأيوبي بعد معركة حطّين عام ١٢٤٤م، والقدس يقدّسها المسلمون والنصارى واليهود، فيها كنيسة القيامة والمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

(٣) سورة مريم، الآية: ١٠ ﴿سَوِيًّا﴾: سليماً لا خرس بك ولا علة.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٣ .﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تراباً طاهراً.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

[فأدرك عبد الله أنها صائمة، فقال لها]:

عبد الله : ليس هذا شهر رمضان.

العجوز : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1].

عبد الله : قد أُبيح لنا الإفطار في السَّفر.

العجوز : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

[ولما وجدها لا تتكلّم إلاّ بالقرآن الكريم قال لها]:

عبد الله : لم لا تكلميني مثلما أُكلمك؟

العجوز : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3].

عبد الله : فمن أيّ النّاس أَنْتِ؟

العجوز : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[4].

عبد الله : قد أخطأت فاجعليني في حلّ.

العجوز : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾[5].

عبد الله : فهل لك أن أحملكِ على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٣) سورة ق، الآية: ١٨ .﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾: مَلَكٌ حافِظٌ لأقوالِه مُعَدٌّ حاضِرٌ.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦ .﴿وَلَا تَقْفُ﴾: لا تتبع.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٢ .﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيب ولا لوم عليكم.

العجوز : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[1].

[فأناخ عبد الله لها الناقة، ولما همّت بالركوب قالت العجوز]:

العجوز : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[2].

[فغضّ[3] عبد الله بصره عنها، وقال لها]:

عبد الله : اركبي.

[فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة[4] فمزقت ثيابها، فقالت العجوز]:

العجوز : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[5].

عبد الله : اصبري حتى أعقلها[6].

العجوز : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[7].

[فعقل ابن المبارك الناقة وقال لها]:

عبد الله : أركبي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٣) غضّ بصره: منعه مما لا يحل له رؤيته.

(٤) نفرت الناقة: فزعت وجنّحت.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٦) عقل الناقة: ضمّ رسغ يدها إلى عضدها وربطهما معاً بالعقال لتبقى باركة.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

[فلما ركبت الناقة واستوت على ظهرها قالت]:

العجوز : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(١).

[فأخذ عبد الله بن المبارك بزمام الناقة وجعل يسعى ويصيح، فقالت له العجوز]:

العجوز : ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾(٢).

[فجعل عبد الله بن المبارك يمشي رويداً رويداً ويترنم(٣) بالشعر، فقالت له العجوز]:

العجوز : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾(٤).

عبد الله : لقد أُوتيت خيراً كثيراً.

العجوز : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٥).

[فلما مشى قليلاً بها قال لها عبد الله]:

عبد الله : ألك زوج؟

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣ و١٤. ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلّل. ﴿مُقْرَنِينَ﴾: مطيعين وغالبين أو ضابطين.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٩. ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: توسّط فيه بين الإسراع والإبطاء. ﴿وَٱغْضُضْ﴾ اخفض وانقص.

(٣) يترنم: يتغنّى ويحسن صوته.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

العجوز : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1].

[فسكت عبد اللّه ولم يكلمها حتى أدرك بها القافلة، فقال لها:

عبد اللّه : هذه القافلة فمن لك فيها؟

العجوز : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

[فعلم أن لها أولاداً، وقال لها]:

عبد اللّه : وما شأنهم في الحجّ؟

العجوز : ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3].

[فعلم عبد اللّه أنهم أدلاّءُ الركب[4]، فقصد بها القباب والعمارات، وقال لها]:

عبد اللّه : هذه القباب فمن لك فيها؟

العجوز : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[5]. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[6]. ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٦. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: معالم للطرق تهتدون بها.

(٤) أدلاء الركب: المفرد: دليل أي: المرشد.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٧) سورة مريم، الآية: ١٢.

[فصاح عبد الله بن المبارك]:

عبد الله : يا إبراهيم. . . يا موسى. . يا يحيى. .

[فإذا هو بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقر بهم الجلوس قالت لهم أمّهم]:

العجوز : ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[1].

[فمضى أحدهم واشترى طعاماً، فقدموه بين يدي عبد الله فقالت العجوز]:

العجوز : ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[2].

عبد الله : الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها.

الأولاد : هذه أمُنا، وإن لها أربعين سنة لم تتكلّم إلاّ بالقرآن الكريم مخافة أن تزلّ[3] فيسخط عليها الرّحمٰن، فسبحان القادر على ما يشاء.

عبد الله : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٩. ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾: بدراهمكم المضروبة. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحلُّ، أو أجود طعاماً.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٢٤ ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: أكلاً غير مُنَغَّصٍ ولا مكدَّر.

(٣) تزل: تخطىء، أو تنحرف عن الصواب.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٤. [مرجع هذه القصة من كتاب: (المتكلمة بالقرآن وقصص أخرى) صفحة ٧ ـ ١١ وكتاب: (نساء فاضلات في ظلّ الإسلام) صفحة ٣٨ ـ ٤٢].

أنا أنفق عليه!...

● خرج عبد الله بن المبارك إلى الحجّ مع جماعة، وبعد سير مرحلة، خرج في الصباح من الخيمة فوجد صبية أتت إلى المزبلة، وأخذت منها دجاجة ميتة وهربت بها، فتبعها فوجدها دخلت خيمة مهلهلة وفيها ولد صغير فقال لها:

عبد الله : لم أخذت الدجاجة؟

الصبيـة : هي ميتة وأنتم رميتموها.

عبد الله : ألا تعلمين أنّه لا يحل أكلها.

الصبيـة : إنّها تحل لنا لشدة فقرنا.

[فذهب عبد الله إلى وكيله وقال له]:

عبد الله : ما معك؟

الوكيل : ألف دينار.

عبد الله : أمسك منها ما نعود به إلى بلدنا، وادفع لها الباقي، وسنحجّ في العام المقبل.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (أطفال نجباء في ظلّ الإسلام)، القصّة رقم ٣٢ صفحة ١٠١].

إنّها تحل لنا لشدة فقرنا

● كان عبد الله بن المبارك إذا عزم على الحجّ يقول لأصحابه:

عبد الله : من عزم منكم في هذا العام على الحجّ فليأتني بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه.

[فكان يأخذ نفقاتهم ويكتب على كل صرّة[1] اسم صاحبها، ويجمعها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب، وحُسن الخلق، والتيسير عليهم، فإذا قضوا حجتهم فيقول لهم]:

عبد الله : هل أوصاكم أهلوكم بهدية.

[فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمنية وغيرها، فإذا جاءوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم، فأصلحت، وبيضت أبوابها ورمّم شعثها[2]، فإذا وصلوا إلى البلد، عمل وليمة بعد قدومهم

---

(١) الصُّرَّة: ما يُجمع فيه الشيء ويُشد، الجمع: صرر.

(٢) شعثها: شعث الشعر: تلبّد وتغبّر، وشعث رأسه أو بدنه، اتّسخ، فهو أشعث، =

ودعاهم فأكلوا وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر، ثم يُقْسِمُ عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه. فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثّناء الجميل.

= وهي شعثاء، يقال لَمَّ الله شعثهم أي: جمع متفرقهم.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ١٧٨. و(تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٨. وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٥. وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٠ ـ ١٤١].

ردّه، وادفع إليه عشرة دراهم

● سأل ذات مرة عبد الله بن المبارك سائل فأعطاه درهماً، فقال له بعض أصحابه:

الأصحاب : إن هؤلاء يأكلون الشواء[١] والفالوذج[٢]، وقد كان يكفيه قطعة.

عبد الله : والله ما ظننت أنّه يأكل إلاّ البَقْل[٣] والخبز، فأما إذا كان يأكل الفالوذج والشواء فإنّه لا يكفيه درهم.

[ثم أمر بعض غلمانه فقال له]:

عبد الله : رُدّه، وادفع إليه عشرة دراهم.

---

(١) الشواء: ما شوي من اللحم وغيره.

(٢) الفالوذج: حلواء تعمل من الدّقيق والماء والعسل، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر، وهي كلمة معرّبة.

(٣) البقل: العشب عامّة، والخضراوات خاصة.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ١٧٨].

هو الذي تخاطب!

● قال الحسن بن محمّد الخلال: حدّثنا أحمد بن إبراهيم، أخبرنا الحسين بن محمّد بن عفير، حدّثنا أحمد بن سنان[١] قال: بلغني أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد[٢] في أول الأمر، فنظر إليه فأعجبه نحوه، فقال له:

حمـاد : من أين أنت؟

عبد الله : من أهل خراسان.

حمـاد : من أي خراسان[٣]؟

---

(١) أحمد بن سنان: بن أسد بن حيان القطان الواسطي، أبو جعفر، حافظ من علماء الحديث، روى عنه أصحاب الكتب الستة إلاّ الترمذي، له «مسند» مخرّج على الرجال، مات بواسط سنة ٢٥٩هـ الموافق ٨٧٣م. (انظر: الجمع بين رجال الصحيحين: ١/ ٧، وشذرات الذهب: ٢/ ١٣٧، والأعلام: ١/ ١٣٣).

(٢) حماد بن زيد: انظر ترجمته في القسم ٤ في القصيدة رقم: ١٢ صفحة ١٢٣.

(٣) خراسان: كلمة مركبة من «خور» أي شمس و«اسان» أي مشرق، بلاد قديمة في آسيا بين نهر أمودريا شمالاً وشرقاً وجبال هندوكوش جنوباً ومناطق فارس غرباً، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (نيسابور) وأفغانستان الشمالية (هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيستان السوفياتية (مرو) غزاها الضحّاك سنة ٦٥٦م، وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين سنة ٧٤٨م الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية في الشرق.

عبد الله : من مرو[1].

حمـاد : تعرف رجلاً يقال له عبد الله بن المبارك؟

عبد الله : نعم.

حمـاد : ما فعل؟

عبد الله : هو الذي تُخاطب.

[فسلّم عليه ورحّب به، وحسن الذي بينهما].

---

(١) مرو: مدينة في الاتحاد السوفياتي (تركمانيستان) هي اليوم ماري، فتحها المسلمون سنة ٦٥١م، منها خرج أبو مسلم الخراساني، خرّب المغول سدّ المرغاب مصدر ثروتها الزراعية سنة ١٢٢١م. ومرو أيضاً تطلق على مرو الروذ والتي يقول فيها نهار بن توسعة:

ألا ذَهبَ الغَزو المقَرّب لِلغنَى ... ومات الندى والعُرْفُ بعد المهلّب

أقام بمرو الروذِ رهن ثوابه ... وقد حجبا عن كل شرقٍ ومغرب

ومرو أيضاً: مرو الشاهجان، والتي يقول فيها الشاعر:

أخلاّي إنْ أَصبحتُمُ في دياركم ... فإني بمرو الشاهجان غريبُ

[مصدر هذه القصّة من كتاب (تاريخ بغداد): الجزء ١٠ صفحة ١٥٤، وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٢].

يرحمك الله

● حدَّثنا جعفر بن محمّد بن نصير، عن أحمد بن مسروق، عن محمّد بن حميد[1] قال: عطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك:

عبد اللّه : إيش يقول الرجل إذا عطس؟

الرجل : يقول الحمد لله[2]!

عبد اللّه : يرحمك الله.

[فتعجب الحضور من حُسن أدب ابن المبارك].

---

(١) محمّد بن حميد: بن حيان التميمي الرّازي، أبو عبد اللّه، حافظ للحديث، من أهل الرّي، زار بغداد، وأخذ عنه كثير من الأئمة كابن حنبل، وابن ماجة، والترمذي، وكذبه آخرون، توفي سنة ٢٤٨هـ الموافق ٨٦٢م. (انظر: تهذيب التهذيب: ٩/ ١٢٧، وتاريخ بغداد: ٢/ ٢٥٩، وميزان الاعتدال: ٣/ ٤٩، وشذرات الذهب: ٢/ ١١٨، وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٦٧، والأعلام: ٦/ ١١٠).

(٢) أخرج البخاري في الحديث رقم (٥٨٧٠) في كتاب الأدب، إذا عطس كيف يُشَمَّت، وأخرج أحمد في المسند (٢/ ٣٥٣) وأخرج مسلم في الحديث رقم (٢١٦٢) في كتاب السَّلام، وأخرج أبو داود في الحديث رقم (٥٠٣٠) في كتاب الأدب، وأخرج الترمذي في الحديث رقم (٢٧٣٨) والنسائي في الحديث رقم (٤/ ٥٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقال له: يرحمك الله، وليقل: يغفر الله لكم».

[مصدر هذه القصة من كتاب (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٥ وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٣].

اجز له ما سبق به قلمي

● حدَّث أحمد بن علي بن رزين قال: أخبرنا علي بن خشرم، قال: حدَّثني سلمة بن سليمان قال: جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك، وقال له:

الرجل : أريد أن تقضي ديناً عليّ.

[فكتب عبد اللّه بن المبارك له إلى وكيله، فلما ورد الكتاب على الوكيل، سأله]:

الوكيل : كم الدَّين الذي سألت فيه عبد اللّه أن يقضيه عنك؟

الرجل : سبعمائة درهم.

[فكتب الوكيل إلى عبد اللّه يقول له]:

الوكيل : إن هذا الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم، وكتبت له سبعة آلاف درهم، وقد فنيت الغلاّت[1].

[فكتب إليه عبد اللّه]:

---

(١) الغلاّت: المفرد: الغلَّة أي الدخل وما يُحصَّل من كراء أَو ريع أَو فائدة أرض أَو نحو ذلك.

عبد الله : إن كانت الغلاّت قد فنيت فإن العمر أيضاً فني، فأجز له ما سبق به قلمي.

[مصدر هذه القصّة من كتاب (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٩ وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٦ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٢].

احمد الله على ما وفّق لك من قضاء دينك!

● حدّث يعقوب بن إسحاق عن محمّد بن عيسى قال: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس[1] وكان ينزل الرقّة[2] في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله الرقّة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان

---

(١) طرسوس: مدينة في جنوبي تركيا الآسيوية (قيليقيا) بينها وبين أذنة ستة فراسخ. يشقها نهر البَرْدان، فتحها المأمون سنة ٧٨٨م وفيها قبره، جاءها غازياً فأدركته منيته، فقال الشاعر:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون في عزّ ملكه المأسوسِ
غادروه بعرصتي طرسوس ... مثل ما غادروا أباه بطوسِ

(٢) الرّقّة: أو الرشيد، مدينة في سورية، شيّدها الإسكندر المقدوني، ودعاها اليونان (نيقوفوريون) والرومان (كالينيكوس)، عندها انتصر قباذ الأول الملك الفارسي على البيزنطيين، وأقام فيها كسرى الأول قبيلة مضر العربية، بنى فيها المنصور مدينة جديدة سنة ٧٧٢م ودعاها (الرفيقة) وجعلها هارون الرشيد بعد نكبة البرامكة عاصمته الصيفية سنة ٨٠٣م، وبنى فيها قصر السّلام، فعرفت بمدينة الرشيد، دمّرتها غزوات المغول في القرن الثالث عشر. قال سهيل بن عدي:

أخذنا الرقّة البيضاء لما ... رأينا الشّهر لوّح بالهلالِ

وقال ربيعة الرقّي:

حبّذا الرقّة دار أو بلد ... بلد ساكنه ممن تودّ

مستعجلاً، فخرج إلى النفير[1]، فلما قفل من غزوته، ورجع الرِّقة قال لجماعة الخان:

عبد الله : أين الشاب؟

الجماعة : إنّه محبوس لدَين ركبه.

عبد الله : وكم مبلغ دينه؟

الجماعة : عشرة آلاف درهم.

[فلم يزل عبد الله بن المبارك يستقصي حتى دُلّ على صاحب المال، فدعا به ليلاً، ووزن له عشرة آلاف درهم، وقال له]:

عبد الله : أناشدك الله أن لا تخبر أحداً ما دمت حيّاً. وإذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

[وأدلج[2] عبد الله، فأخرج صاحب المال الفتى من الحبس، وقال له جماعة الخان]:

الجماعة : عبد الله بن المبارك كان ها هنا، وكان يذكرك، وقد خرج.

---

(١) النفير: القوم ينفرون للقتال، والنفير العام: قيام النّاس عامة لقتال العدو، ويقال لمن لا يصلح لمهم أو للذي لا شأن له: فلان لا في العير ولا في النفير.

(٢) أدلج: مصدر: دلج أي نهض بحمله مثقلاً، والدلج: اللّيل أو بعضه، والدلجة: السير من أول اللّيل أو سير الليل كله، وأدلج القوم: ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كلّه.

[فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث مراحل من الرّقّة، فقال له عبد اللّه]:

عبد اللّه : يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان.

الفتى : نعم يا أبا عبد الرّحمن، كنت محبوساً بدَين.

عبد اللّه : فكيف كان سبب خلاصك؟

الفتى : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس.

عبد اللّه : يا فتى! احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.

[فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلاّ بعد موت عبد اللّه].

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٩، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٦ و٣٨٧ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤١ ـ ١٤٢].

٩ ما أحسن ذا، إذا تم ذا!!

• أخبرنا القاضي أبو محمّد الحسن بن الحسين بن رامين الأستراباذي، حدّثنا عبد الرّحمن بن محمّد بن جعفر الجرجاني، حدّثنا السراج وهو أبو العباس محمّد بن إسحاق النيسابوري، قال: سمعت إبراهيم بن بشار يقول: حدّثني علي بن الفضيل قال: سمعت أبي[١] وهو يقول لابن المبارك:

الفضيل : أنت تأمرنا بالزهد، والتقلّل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان[٢] إلى البلد الحرام[٣]، كيف ذا.

---

(١) أبي: أي الفضيل بن عياض: بن مسعود التيمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكّي، من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه، وُلد في سمرقند سنة ١٠٥هـ الموافق ٧٢٣م ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكّة وتوفي فيها سنة ١٨٧هـ الموافق ٨٠٣م. من كلامه: من عرف الناس استراح. (انظر: كشف الظنون: ١١٨ و٥٠٣ و١٠٨٧، وهدية العارفين: ١/ ٨٢٢، وشذرات الذهب: ٨/ ٢٢٣، والأعلام: ٥/ ١٥٣).

(٢) خراسان: سبق التعريف عنها في الفصل ٣ في القصة رقم (٥).

(٣) البلد الحرام: أي مكّة المكرّمة، أو بيت الله الحرام، بلدة فيها الكعبة القبلة التي يتوجه المسلمون إليها في صلاتهم من سائر الآفاق، سمّيت مكّة لأنها تمكُّ أعناق الجبابرة، أي: تذهب نخوتهم وتذلّهم، وقيل لتمكك الناس بها، وهو ازدحامهم وتسمى أيضاً بكّة. قال الله تعالى في سورة آل عمران الآية ٩٦: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ=

عبد الله : إنما أفعل ذا لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلاّ سارعت إليه حتى أقوم به.

الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا، إن تم ذا.

= ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٠، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٧].

أقسمت عليك لتفعلن

● قال إسماعيل الخطبي[١]: بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد[٢]، فقال أصحاب الحديث لحماد:

الأصحاب : سل أبا عبد الرَّحمن[٣] أن يحدّثنا.

حماد : يا أبا عبد الرَّحمن، تحدّثهم، فإنّهم قد سألوني؟

عبد الله : سبحان الله، يا أبا إسماعيل أحدث وأنت حاضر؟!

حماد : أقسمت عليك لتفعلن.

عبد الله : خذوا.. حدَّثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد.

(فما حدَّث بحرف إلاَّ عن حماد).

---

(١) إسماعيل الخطبي: هو إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطبي أبو محمّد، نسبة إلى الخطب، وإنشائها.

(٢) حماد بن زيد: انظر ترجمته في القصيدة رقم (١٢).

(٣) أبو عبد الرَّحمن: هو عبد الله بن المبارك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٥٥، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٨٢ ـ ٣٨٤].

ما اشتهيته علق بقلبي!

● حدّثنا يحيى بن زكريا، حدّثنا محمّد بن النضر بن مساور، قال: قال أبي: قلت لابن المبارك:

النضر : هل تتحفّظ الحديث؟

[فتغير لون عبد الله بن المبارك وقال]:

عبد الله : ما تحفظتُ حديثاً قط، إنما آخذ الكتاب فأنظر فيه، فما اشتهيته، علق بقلبي.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٥، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٢].

قد حفظتها!!!

● قال الحسن بن عيسى: أخبرني صخر[١]. قال: كنا غلماناً في الكُتّاب[٢]، فمررت أنا وابن المبارك، ورجل يخطب، فخطب خطبة طويلة، فلما فرغ قال لي عبد الله:

عبد الله : قد حفظتها.

[فسمعه رجل من القوم وقال له]:

الرجل : هاتها.

[فأعادها عبد الله وقد حفظها].

---

(١) صخر: صديق ابن المبارك.

(٢) الكُتّاب: مدرسة صغيرة لتعليم الأولاد القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، الجمع: كَتاتيب.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٣، وكتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٥ و١٦٦].

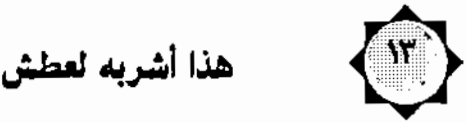

هذا أشربه لعطش القيامة

● قال القاسم بن محمّد بن عبّاد: سمعت سويد بن سعيد يقول: رأيت ابن المبارك بمكة[1] أتى زمزم[2]، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال:

عبد الله : اللّهمّ إن ابن أبي الموال حدّثنا عن محمّد بن المنكدر عن جابر، عن النبي ﷺ أنّه قال: «**ماء زمزم لما شُرب له**»[3] وهذا أشربه لعطش القيامة.

[ثم شربه].

---

(١) مكّة: انظر ترجمتها في القصّة رقم ٩.

(٢) زمزم: بئر في مكة في الحرم الشريف قرب الكعبة، احتفرها إسماعيل وأمّه هاجر، ثم عَدَت وطُمت فاكتشف موضعها عبد المطّلب جد النبي ﷺ فأعاد حفرها، كانت مُعظَّمة في الجاهلية كما هي اليوم في الإسلام، يشرب الحجّاج ماءها وينقلونه إلى بلادهم تبركاً، يتولى السقاية منها بنو عبد المطلب إلى اليوم.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٧) وابن ماجة (٣٠٦٢)، وأخرجه الدارقطني في سننه. وأخرج الإمام مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٤٧٣) من حديث أبي ذر الطويل قوله ﷺ: «إنّها مباركة، وأنها طعام طعم» ولفظ أبي داود الطيالسي (٢/ ١٥٨): «إنها لمباركة وهي طعام طعم وشفاء سقم».

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٦، وكتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٣ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٢٧].

وأنت ممن يشنع علينا؟!!!

● قال أبو حاتم الرازي: حدّثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفّان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز[1]، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله. ثم صرخ:

الرومي : هل من مبارز؟

[فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنَه فقتله، فازدحم إليه الناسُ، فنظرتُ فإذا هو عبد اللّه بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمّه فمددته، فإذا هو هو. فقال]:

عبد اللّه : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا!!

---

(١) البراز: برز إليه في الحرب ونازله بالسيف ونحوه، وهو المبارزة في الحرب.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٤ ـ ٣٩٥، وكتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٧ وكتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٤].

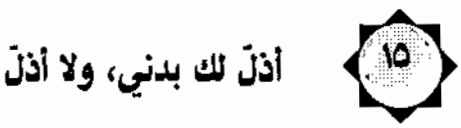

أذلّ لك بدني، ولا أذلّ لك الحديث

● قال أحمد بن أبي الحواري: جاء رجل من بني هاشم إلى عبد الله بن المبارك ليسمع منه، فأبى أن يحدّثه، فقال الشريف لغلامه:

الشريف : قم، فإن أبا عبد الرّحمن لا يرى أن يحدّثنا.

[فلما قام ليركب، جاء ابن المبارك ليُمسك بركابه[1] فقال له الشريف]:

الشريف : يا أبا عبد الرّحمن تفعل هذا ولا ترى أن تحدّثني!

عبد الله : أذلّ لك بدني، ولا أذلّ لك الحديث.

---

(١) الركاب: الإبل التي تركب، الواحدة: راحلة، الجمع: رُكُبٌ وركائبٌ، يقال: هو يمشي في ركابه أي: يتبعه. والركاب أيضاً: موضع الرِّجْلِ من السَّرج. وهما ركابان. وهذا الذي أمسكه ابن المبارك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٠٤].

موت عاجل

● قال حبيب الجلاّب: سألت عبد الله بن المبارك:

حبيب : ما خير ما أعطي الإنسان؟

عبد الله : غريزة عقل.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : حُسنُ أدب.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : أخ شقيق يستشيره.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : صمت طويل.

حبيب : فإن لم يكن؟

عبد الله : موت عاجل.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٧.

اذهب واحفر بئراً

• قال حاتم بن الجراح: سمعت علي بن الحسن بن شقيق قال: سأل رجل عبد الله بن المبارك:

الرجل : خرجت قرحة[١] في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاج، وسألت الأطباء، فلم أنتفع به.

عبد اللّه : اذهب، فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم.

[ففعل الرجل، فبرأتا[٢]].

---

(١) القرحة: الجرح المتقادم الذي يفسد و اجتمع فيه القيح، الجمع: قَرَحٌ، وقروحٌ. قال الشاعر:

وَلِي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ، مَنْ يبِيعُني ... بِهَا كبداً ليس بِلات قُرُوحِ

(٢) برِىء المريض: شفي وتخلّص مما به.

[مصدر هذه القصة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٠٧].

إن قتلت.. فافعل كذا.. وكذا

● قال محمّد بن المثنى: حدَّثنا عبد الله بن سنان قال: كنت مع ابن المبارك، ومعتمر بن سليمان بطَرسُوس، فصاح الناس:

النـــاس : النفير.

[فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطفّ الجمعان، خرج رومي فطلب البِراز، فخرج إليه رجلٌ، فشدَّ العِلْجُ عليه فقتله، حتى قتل سِتة من المسلمين، وجعل يَتَبَخْتَرُ[1] بينَ الصَّفين يطلُبُ المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، فالتفتَ إليَّ ابنُ المبارك فقال]:

ابن المبارك : يا فلان، إن قُتِلتُ فافعل كذا وكذا.

[ثم حرَّكَ دابته، وبرز للعلج[2] فعالج معه ساعة، فقتل العِلْجَ، وطلب المبارزة، فبرز له علج آخر فقتله، حتى قَتل ستة عُلوج، وطلب البراز، فكأنّهم كاعوا[3] عنه،

---

(١) يتبختر: يمشي مختالاً مُعجباً بنفسه، فهو بختريٌّ.

(٢) العلج: الشديد الجافي من الرجال، الجمع: علوج، وأعلاج.

(٣) كاعوا عنه: جبنوا، والكاعي: المنهزم.

فضرب دابته، وطرد[1] بين الصفّين، ثم غاب، فلم نشعر بشيء، وإذا أنا به في الموضع الذي كان، فقال لي:

ابن المبارك : يا عبد اللّه لئن حدَّثت بهذا أحداً، وأنا حَيٌّ فسأُخاصمك وأتبرأ منك.

(١) طرد: أرسل، وتطارد الأقران وغيرهم في الحرب ونحوها: حمل بعضهم على بعض.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) المجلد ٨ صفحة ٤٠٨ ـ ٤٠٩].

نكره أن ننتفع بشيء

● قال الحسن: رأيت في منزل ابن المبارك حماماً طيارة، فقال ابن المبارك:

عبد الله : قد كنا ننتفع بِفِرَاخ هذه الحمام، فليس ننتفع بها اليوم.

الحسن : ولم ذلك؟

عبد الله : اختلط بها حمامٌ غيرُها فتزاوجَت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٣].

ومن أنا حتى يُكتب قولي؟!.

● قال الحسن: كنت مع عبد الله بن المبارك بالكوفة، يُقرأ عليه كتاب المناسك، انتهى إلى حديث وفيه:

. . . . . : قال عبد الله وبه نأخذ.

[فقال عبد الله]:

عبد الله : مَن كتب هذا من قولي؟

الحسن : الكاتب الذي كتبه[1].

[فلم يزل يحكّه بيده حتى دَرَس[2]، ثم قال]:

عبد الله : ومن أنا حتى يُكتب قولي؟.

---

(١) الكاتب الذي كتبه: أي أن ناسخ الكتاب هو الذي كتب ذلك.

(٢) دَرَسَ: محا.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٣٥].

إلهي.. اقبضني الساعة.. الساعة!!

● قال عبد الله بن المبارك: كنت بمكة وقد لحق الناس قحط، واستمرّ إمساك المطر عنهم، فخرج الناس يستسقون في المسجد الحرام، ولم يبق أحد من الصغار والكبار، وكنت في الناس مما يلي باب شيبة، وإذا بعبد أسود قد أقبل، وعليه قطعتا خيش قد أتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فانتهى إلى موضع خفيّ بجانبي، فسمعته يقول:

العبد : إلٰهي قد أخلقت[1] الوجوه كثرة الذنوب، ومساوي الأعمال، وقد منعتنا غيث السُّماء لتؤدّب الخليقة بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة[2]، يا من لا يعرف عباده منه إلاَّ الجميل، أن تسقيهم الساعة.

[فلم يزل يقول: الساعة.. الساعة.. الساعة حتى استوت السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يُسبّح، وأخذت أبكي، فلما قام اتبعته حتى عرفت

---

(١) أخلقت: بلت.

(٢) الأناة: التؤدة، والحلم والوقار، والانتظار والتثبت.

موضعه، فجئت إلى الفضيل بن عياض[1] رضي الله عنه فقال لي]:

الفضيل : ما لي أراك كئيباً؟

عبد الله : سبقنا إليه غيرنا، فتولاه دوننا.

الفضيل : وما ذاك؟

[فقص عليه القصّة، فصاح وسكت وقال]:

الفضيل : ويحك يا ابن المبارك خذني إليه.

عبد الله : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه.

[فلما كان من الغَدِ، صلّى عبد الله الغداة وخرج يريد الموضع، فإذا بشيخ على الباب قد بُسِط له وهو جالس، فلما رآه عرفه وقال له]:

الشيخ : مرحباً بك أبا عبد الرَّحمن! ما حاجتك.

عبد الله : احتجت إلى غلام أسود.

الشيخ : عندي عدة، فاختر أيّهم شئت.

[وصاح]:

الشيخ : يا غلام.

[فخرج غلام جلد[2] فقال الشيخ]:

---

(١) الفضيل بن عياض: سبق التعريف عنه انظر ترجمته في القصّة رقم (٩).

(٢) الجلد: الصلب. القوي.

الشيخ : هذا محمود العاقبة أرضاه لك.

عبد الله : ليس هذا حاجتي.

[فما زال يخرج له واحداً بعد واحد حتى أخرج له الغلام المذكور، فلما أبصر به بدرت له عيناه بالنظر فقال]:

عبد الله : هو! هذا هو. نعم.. هذا هو.

الشيخ : ليس لي إلى بيعه من سبيل.

عبد الله : ولم؟

الشيخ : قد تبرّكت بموضعه في هذه الدار، وذلك أنّه لا يؤزرني[1] شيئاً؟

عبد الله : ومن أين طعامه؟

الشيخ : يكتسب من فتل الشريط نصف دانق[2] أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه، وإلاّ طوى[3] ذلك اليوم، وأخبرني الغلمان عنه أنّه لا ينام الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم، وهو مهتمٌ بنفسه وقد أحبه قلبي.

عبد الله : أنصرف إلى سفيان الثوري[4] وإلى الفضيل بن عياض بغير قضاء حاجة.

---

(١) يؤزر: يُكلف.

(٢) الدانق: سُدس الدرهم، الجمع: دوانق، ودوانيق.

(٣) طوى: تعمّد الجوع وقصده.

(٤) سفيان الثوري: بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من =

الشيخ : إن ممشاك[1] عندي كبير، خذه بما شئت.

[فاشتراه عبد الله وأخذ به نحو دار الفضيل، فمشى ساعة ثم قال الغلام له]:

الغلام : يا مولاي.

عبد الله : لبيك.

الغلام : لا تقل لبيك، فإن العبد أولى بأن يلبي مولاه.

عبد الله : ما حاجتك يا حبيبي.

الغلام : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة، وقد كان لك في غيري سعة، وقد أخرج إليك من هو أجلد مني.

عبد الله : لا يراني الله تعالى أستخدمك، ولكن أشتري لك منزلاً وأزوّجك وأخدمك أنا بنفسي.

[فبكى بكاء كثيراً، فقال له عبد الله]:

عبد الله : ما يبكيك؟

= مضر، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيّد أهل زمانه في علوم الدِّين والتقوى، وُلِد في الكوفة سنة ٩٧هـ الموافق ٧١٦م ونشأ فيها، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤هـ فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١هـ الموافق ٧٧٨م، له من الكتب «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» وكلاهما في الحديث. (انظر: دول الإسلام: ١/ ٨٤، والجواهر المضية: ١/ ٢٥٠، وطبقات ابن سعد: ٦/ ٣٥٦، وتهذيب التهذيب: ٤/ ١١١ ـ ١١٥، وذيل المذيل: ١٠٥، وتاريخ بغداد: ٩/ ١٥١، والأعلام ٣/ ١٥٠).

(١) ممشاك: مسيرك ومجيئك نحوي.

الغلام : أنت لم تفعل بي هذا إلاَّ وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تبارك وتعالى، وإلاَّ فلم اخترتني من بين أولئك الغلمان؟

عبد اللّه : ليس بي حاجة إلى هذا.

الغلام : سألتك بالله إلاَّ أخبرتني؟

عبد اللّه : بإجابة دعوتك.

الغلام : أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً، إن لله عزّ وجلّ خِيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلاَّ لمن أحب من عباده، ولا يظهر عليهم إلاَّ لمن ارتضى من خلقه.

[ثم صمت برهة وقال]:

الغلام : ترى أن تقف عليَّ قليلاً، فإنه قد بقيت عليّ ركعات من البارحة.

عبد اللّه : هذا منزل فضيل قريب.

الغلام : لا، ههنا أحب إليّ. أمر الله عزّ وجلّ لا يؤخر.

[فدخل المسجد فما زال يصلي حتى أتى على ما أراد، ثم التفت إليّ وقال]:

الغلام : يا أبا عبد الرّحمن هل من حاجة؟

عبد اللّه : لم؟

الغلام : إني أريد الانصراف.

عبد اللّه : إلى أين؟

الغلام : إلى الآخرة.

عبد الله : لا تفعل، دعني أُسرّ بك.

الغلام : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه، فأما إذا اطّلعت عليها فسيطّلع عليها غيرك، ولا حاجة لي في ذلك.

[ثم خرّ لوجهه فجعل يقول]:

الغلام : إلهي اقبضني السّاعة.. السّاعة.

[فدنا منه عبد الله فإذا هو قد مات، فوالله ما تذكّره قط إلاّ طال حزنه، وصغرت الدنيا في عينه. وفي أمثاله يقول عبد الله بن المبارك]:

عبد الله : عبيد لمولاهم تعالى وغيرهم
عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى
وعلو الثريا في ارتفاع مقامهم
بهم يدفع الله البلايا عن الورى

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (روض الرياحين في حكايات الصالحين) صفحة ١٥١ ـ ١٥٢].

أبشر فإن الله حقّق لك ذلك

• حكى عبد الله بن المبارك قال: حججت إلى بيت الله الحرام، فبينما أنا في الطواف إذ عييت[١]، فجلست أستريح، ووضعت رأسي على ركبتي فغلبني النوم، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول:

قال رسول الله ﷺ: «يا ابن المبارك، إذا أنت قضيت حجّك، وحللت عقدك[٢]، ورجعت إلى أرض العراق، ودخلت دار السّلام[٣]، فاقصد الحلّة[٤] التي بها بهرام المجوسي[٥]، فإذا لقيته فأخبره أن النبي العربي محمّداً ﷺ، يُسلّم عليه، وهو يقول لك أبشر فإن قصرك في الجنّة غداً في أقرب

---

(١) عيت: مصدر عيي: عجز وتعب تعباً شديداً.

(٢) حللت عقدك: فككتها ونقضتها.

(٣) دار السّلام: هي مدينة بغداد. شيّدها المنصور الخليفة العباسي سنة ٧٦٢، على شكل مستدير، وجعلها عاصمته، وازدهرت ازدهاراً منقطع النظير بين ٧٥٤ ـ ٨٣٣ مع المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، والأمين، والمأمون، أخذت بالانحطاط بعد أن نقل المعتصم العاصمة إلى سامراء. دمّرها هولاكو سنة ١٢٥٨م، وتيمورلنك سنة ١٤٠٠م ثم الأتراك سنة ١٦٣٨م، فيها المتحف الإسلامي، والمدرسة المستنصرية، والقصر العباسي، وقبر السيدة زبيدة امرأة هارون الرشيد.

(٤) الحلة: القوم النازلون والبيوت مجتمعة، الجمع: حلال، وحلل.

(٥) المجوسي: منسوب إلى المجوسية، قوم يعبدون النار والشمس والقمر.

القصور إلى قصري. [فانتبه عبد الله لذلك فزعاً مرعوباً، وتفكّر ساعة، وغلبه النوم ثانية، فرأى النبي ﷺ أيضاً يقول له]:

قال ﷺ : «يا ابن المبارك لا تشكّ في منامك، فهو حقّ والشيطان لا يتمثّل بصورتي قط[1]، فإذا قضيت حجّك، وحللت عقدك، وانصرفت إلى العراق، فاطلب هذا المجوسي بهرام، وبشّره بما قلت لك».

[فانتبه عبد الله أيضاً مرعوباً، واستعاذ بالله واستغفره وتفكّر ساعة فغلبه النوم، فنام، فرأى النبي ﷺ ثالث مرّة وهو يقول له]:

قال ﷺ : يا ابن المبارك أنا محمّد رسول الله، فلا ترتبك في ذلك وامتثل لأمري، فهو حقٌّ.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه في الحديث رقم (٦٥٩٢) في كتاب التعبير، باب: من رأى النبي ﷺ في المنام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي» وأخرجه مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٢٢٦٦) في كتاب الرؤيا، باب: من رآني في المنام. وفي الحديث (٦٥٩٣) في صحيح البخاري قال أنس رضي الله عنه: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» وأخرجه مسلم في أوائل الرؤيا في الحديث رقم (٢٢٦٤). وانظر أبو داود في كتاب رقم ٤٠ باب: ٨٨، والترمذي في كتاب ٣٢ باب ٧٠٤، وابن ماجه في كتاب ٣٥ باب: ٢ والدارمي في كتاب ١٠ باب ٤ وطبقات ابن سعد ج١ ق٢ ص١٢٥. وأحمد ١/ ٢٧٩ و٣٦١ و٤٠٠ و٤٤٠ و٤٥٠ و٢/ ٢٣٢ و٣٤٢ و٤١٠ و٤١١ و٤٦٣.

[فقال عبد اللّه بن المبارك]:

عبد اللّه : أريد بذلك علامة ألقاه بها..

[فأخذ رسول الله ﷺ كفّ عبد اللّه بيمينه ثم قال له]:

قال ﷺ : يا ابن المبارك هذا المجوسي شيخ زمنٌ قد أتى عليه مائة وأربعون سنة، وقد ضعف بصره، وثقل سمعه، وابيضّ شعره، ودقّ عظمه[1]، ويبس عصبه، وجلده، فإذا أتيته وسلّمت عليه وبشّرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيميني على رأسه، ومُرّ بها على وجهه وسائر جسده وبدنه، فإنّه يعود شاباً ويرجع إليه بصره وسمعه، ويسودُّ شعره، ويطرى جسده، ويقوى عصبه، وتعود إليه قوّته.

[فانتبه عبد اللّه وهو كالولهان، فلما أن قضى حجّه وحلّ عقده وانصرف إلى العراق، ودخل بغداد، سأل عن دار المجوسي، فشاهد غلاماً يقف على الباب فقال له]:

عبد اللّه : يا غلام استأذن لي على مولاك.

الغلام : أغريب أنت؟

عبد اللّه : نعم.

الغلام : ادخل، ليس هنا من يحجبك.

---

(١) الدست: صدر المجلس.

[فدخل عبد اللّه إلى دار لم يرَ مثلها، وشاهد كتبة ومجوساً وصيارف قعوداً، وهم يقبضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم، فقال لهم]:

عبد اللّه : يا قوم! أفيكم بهرام.

الحضور : أدخل الدار الثانية.

[فدخل عبد اللّه الدار الثانية، فإذا ليس بينها وبين الدار الأولى نسبة، بل تفاوت، وإذا بشيخ قاعد على دست[1] ومرتبة على الصّفة التي وصفها رسول الله ﷺ، وحوله جماعة من الكتّاب والحسّاب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار، وهم في الحساب. فسلّم كما أمره النبي ﷺ وقال له]:

عبد اللّه : السّلام عليك يا بهرام.

بهرام : وعليك السّلام.

[وكان قد شدّ حاجبيه بعصابة فرفعها عن عينيه وأردف يقول]:

بهرام : مَن الرجل؟

عبد اللّه : عبد اللّه بن المبارك.

بهرام : مرحباً بك، لقد شممت بك رائحة زال بها الهمُّ عن

---

(١) دق عظمه: صَغُر وصار دقيقاً.

قلبي. . ادنُ مني.

[فجلس عبد اللّه إلى جانبه، فقال له بهرام]:

بهرام : هل لك من حاجة؟

عبد اللّه : نعم.

بهرام : وما هي؟

عبد اللّه : أرى أن أخلو بك ساعة.

بهرام : نعم.

[وأمر بهرام من هناك بالخروج، فتهيأوا ثم خرجوا، فبقي عبد اللّه وثلاثة شبان، فقال لبهرام]:

عبد اللّه : هؤلاء اصرفهم يا بهرام.

[فصرفهم. . . عندها قال له]:

عبد اللّه : يا بهرام. . . كم تعد من السنين؟

بهرام : أعدّ مائة وأربعين سنة.

عبد اللّه : فهل تعرف أنّك عملت شيئاً استوجبت به من الله الجنّة؟

بهرام : لا أدري. . . إلاّ أنني رزقت ثلاثة بنين، وثلاث بنات فزوجتُ بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالاً وداراً وعقارات.

عبد اللّه : لا تستوجب الجنّة، بل تستوجب النار. فهل عملت شيئاً صالحاً لآخرتك.

بهرام : قسمت ليلي ثلاثة أجزاء: أما الجزء الأول فإني أقعد للمسامرة، وتُقرأ عليّ سير الأُول، فأنفرج بذلك، والجزء الثاني أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهّار. والجزء الثالث أفكّر فيه في أمر معاشي ومعادي وأمنع نفسي عن النوم في ذلك الجزء، فإن النوم فيه جهل وخمول ودماء إلاّ لضرورة.

عبد اللّه : هل لك فعل غير هذا؟

بهرام : لا.

عبد اللّه : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فيم استحقيت يا بهرام الجنّة؟

بهرام : ويحك يا بن المبارك، أتقطع لي بالجنة وأنت عالِم المسلمين.

من أخبرك بذلك.

عبد اللّه : أخبرني الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

بهرام : فما القصّة؟

[فحدّثه عبد اللّه بالمنام الذي رآه، وبما قال النبي ﷺ مراراً فقال له]:

بهرام : يا بن المبارك! وهل لذلك علامة ظاهرة؟

عبد اللّه : نعم أدنُ مني.

[فدنا بهرام من عبد اللّه، فمسح بيده رأسه ووجهه

وصدره وبدنه وأولاده ينظرون، فصار شاباً حسناً طرياً سميعاً بصيراً، واسودّ شعره، وابيضّت بشرته، فلما عاين ذلك قال بهرام]:

بهرام : امدد يدك يا شيخ.. أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله.

[ثم قال]:

بهرام : يا شيخ.. أأخبرك السبب الذي أوجب الله لي به هذه المنزلة؟

عبد اللّه : نعم.

بهرام : كنت من مدة قد أولمت وليمة عامّة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصّة، فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة، فلما كان في بعض الليل طرق طارق الباب، وقد هدأ الناس، ونام الخدم لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة، وأنا جالس منتبه، فقلت: من بالباب، فخرجت امرأة عجوز وقالت:

المرأة : يا بهرام أنا امرأة من جيرانك، فأوقد لي هذا السراج.

بهرام : نحن المجوس لا نرى إخراج النار من بيوتنا ليلاً.

[فتحيّر بهرام في أمره، وقام ولم ينبه أحداً، فأسرج لها السراج، فانصرفت، وأطفأت السراج، وعادت وقالت]:

المرأة : يا بهرام قد انطفأ. فأسرجه لي.

[فلما أسرجه قالت المرأة]:

المرأة : يا بهرام والله ما جئتك لأجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاوون[1] كالمرأة الثكلى[2] أو كالحبّة في المقلى، فإن كان قد بقي في دارك فضل طعام فأعطني فإنّك إن شاء الله تملك بذلك الجنّة.

بهرام : حباً وكرامة.

[فأخذ بهرام منديلاً كبيراً، فجعل فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو والحامض، وأخرج كيساً فيه ألف دينار، وكيساً فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية[3]، وشد الجميع وقال لها]:

بهرام : احملي هذا إلى عيالك واقسمي عليهم.

[فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها، فقالت]:

المرأة : يا بهرام أعنّي أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفّف عليك الحساب في ذلك اليوم الشديد.

بهرام : يا هذه.. كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى عليَّ مائة ونيّف وثلاثون سنة.

---

(١) يتضاوون: مصدر ضوي: نحلوا.

(٢) الثكلى: ثكلت الأم ولدها: فقدته. والثكل: فقدان الحبيب أو الحميم.

(٣) مروزية: نسبة إلى مرو.

[ثم تفكّر لحظة وطاب لذلك قلب بهرام فقال لها]:

بهرام : شيلي على رأسي.

[فشالته واستقل على رأسه فسال لذلك عرقه حتى صار في منزلها، فحط الطعام، ووضع الرزمة، وجعل بهرام يلقم البنات إلى أن شبعن ونشطن ثم قسم عليهن الثياب والدراهم والدنانير، ففرحن وتبسمن، فلما أراد بهرام القيام قلن بأجمعهن]:

البنات : يا بهرام... أصلح الله لك أمورك، وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا، وأدمت سرورنا، وفرّحك يوم القيامة كما فرّحتنا، وختم لك بخير، وأنزلك أقرب قصر من قصر نبيّنا محمّد ﷺ في دار الجنان.

بهرام : آمين.

[وما زلت أرجو استجابة دعائهن]:

عبد الله : يا بهرام... أبشر، فإن الله حقّق لك ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: لا تحقر من المعروف شيئاً ولو أنّك تفرغ من دلوك في إناء أخيك ماء.

[فتصدّق بهرام في ذلك اليوم بمائة ألف درهم، وبمائة ألف دينار، وبمائة ألف ثوب مروزيات، وبألفي ثوب ديباج[1]، وفرّق سائر أمواله على أولاده وبناته

(١) الديباج: نسيج من الحرير ملون ألواناً. قال أبو منصور الأزهري: دينار وقيراط=

والمسلمين، وأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس، ثم انفرد بهرام عن أهله، ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث قليلاً حتى توفي رحمة الله عليه.

= وديباج أصولها أعجمية، غير أن العرب تكلمت بها قديماً فصارت عربية (اللسان).

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (ثمرات الأوراق في المحاضرات) صفحة ٢٩٢ ـ ٢٩٥، وكتاب (قصص وأخبار من رأى سيد الأبرار في المنام) صفحة ٤٧].

قل لا إله إلاّ الله

● روى الحسن بن الرَّبيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة، وأقبل نُصَير يقول له:

نُصَير : يا أبا عبد الرَّحمن؛ قل لا إله إلاّ الله.

عبد اللّه : يا نُصير قد تَرى شدّة الكلام عليَّ فإذا سمعتني قُلتُها فلا تردّها عليّ حتى تَسْمَعني قد أحدثتُ بعْدها كلاماً، فإنّما كانُوا يستحبّون أن يكُون آخر كلام العبد ذلك.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٦].

غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة

• روى محمّد بن فضيل بن عياض قال: رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت له:

محمّد : أي الأعمال وجدتَ أفضل؟

عبد الله : الأمر الذي كنتُ فيه.

محمّد : الرِّباط[1] والجهاد؟

عبد الله : نعم.

محمّد : فأيّ شيء صنع بك ربّك؟

عبد الله : غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وزوّجني امرأة من أهل الجنّة من الحور العين.

---

(١) الرباط: ملازمة ثغر العدو.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٧].

مسك الختام

● قال الإمام أبو حامد محمّد الغزالي رحمه الله تعالى:
كان بمدينة مرو رجل اسمه «نوح بن مريم» وكان رئيس مرو وقاضيها، وكان له نعمة كبيرة، وحال موفورة، وكانت له ابنة ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، قد خطبها جماعة من الأكابر والرؤساء، وذوي النعمة والثروة، فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحيّر في أمرها، ولم يدر لأيّهم يزوجها، وقال(*):

(*) أبو حامد: محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي، حجّة الإسلام، فيلسوف متصوّف، له نحو مئتي مصنّف، ولد في الطابران سنة ٤٥٠هـ الموافق ١٠٥٨م، ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل، أو إلى غزالة من قرى طوس. من كتبه: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، ومحك النظر، ومعارج القدس في أحوال النفس، ومقاصد الفلاسفة، والمضنون به على غير أهله، والمنقذ من الضلال، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك، وأيها الولد، وإلجام العوام عن علم الكلام، والطير، والدرة الفاخرة في علوم الآخرة، والمستصفى من علوم الأصول وأسرار الحج، وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، وميزان العمل، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وغيرها لا يحصى. توفي سنة ٥٠٥هـ الموافق ١١١١م. (انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٣٦٣. وطبقات الشافعية: ٤/ ١٠١، وشذرات الذهب: ٤/ ١٠، والوافي بالوفيات: ١/ ٢٧٧، ومفتاح السعادة: ٢/ ١٩١ ـ ٢١٠، والأعلام: ٧/ ٢٢، وديوان الإمام الغزالي).

نوح : إن زوجتها لفلان أسخطتُ فلاناً.

[وكان لنوح بن مريم غلام هندي تقي اسمه «مبارك» وكان له كرمٌ عامر الأشجار والفاكهة والثمار فقال للغلام]:

نوح : أريد أن تمضي وتحفظ لي الكرم.

[فمضى الغلام وأقام في الكرم شهراً، فجاء سيده في بعض الأيام إلى الكرم لينظره، فقال نوح]:

نوح : يا مبارك! ناولني عنقود عنب.

[فناوله عنقوداً آخر فوجده حامضاً فقال له]:

نوح : أعطني غير هذا!

[فناوله عنقوداً آخر فوجده حامضاً فقال له]:

نوح : ما السبب في أنّك لا تناولني من هذا الكثير غير الحامض.

مبارك : لأني لا أعلم أحامض هو أم حلو.

نوح : سبحان الله! لك في هذا الكرم شهر كامل، ما تعرف الحامض من الحلو؟

مبارك : وحقّك أيّها السيّد! إنني ما ذقته، ولم أعلم أحامض أم حلو!

نوح : لِمَ لا أكلت منه؟

مبارك : لأنّك أمرتني بحفظه، ولم تأمرني بأكله!! فما كنتُ لأخونك.

[فعجب القاضي نوح منه وقال له]:

نوح : حفظ الله عليك أمانتك.

[وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل، فقال له]:

نوح : أيها الغلام! قد وقع لي رغبة فيك، وينبغي أن تفعل ما آمرك به.

مبارك : أنا مطيع لله ثم لك.

نوح : اعلم أن لي بنتاً جميلة، وقد خطبها كثير من الرؤساء والمتقدّمين، ولا أعلم لمن أزوّجها! فأشر عليَّ بما ترى؟!

مبارك : إن الكفّار في زمن الجاهلية كانوا يريدون: الأصل والنَّسب، والبيت والحسب. واليهود والنصارى يطلبون الحُسْنَ والجمال، وفي عهد رسول الله ﷺ، كان الناس يطلبون: الدِّين والتقى، أما في زماننا هذا، فالناس يطلبون المال! فاختر من هذه الأربعة ما تريد.

نوح : قد اخترتُ الدِّين والتُّقى والأمانة، أُريد أن أُزوّجك ابنتي! لأني قد وجدت فيك: الصلاح، والديانة، والأمانة، وجرّبت منك العفّة والصيانة.

مبارك : أيها السيد! أنا عبد رقيق، هندي أسود، ابتعتني[1] بمالِكَ، كيف تزوّجني بابنتك؟ وكيف تختارني ابنتك وترضاني؟!

نوح : قم بنا إلى البيت، لندبّر هذا الأمر.

---

(١) ابتعتني: اشتريتني.

[فلما صار إلى المنزل، قال القاضي نوح لزوجته]:

نوح : اعلمي أن هذا الغلام الهندي ديِّنٌ تقيٌّ، وقد رغبت في صلاحه، وأريد أن أزوّجه ابنتي، فما تقولين؟!

الزوجة : الأمر إليك، ولكن أمضي إلى الصبيّة وأخبرها، وأُعيد عليك جوابها.

[فجاءت الزوجة إلى ابنتها، وأدّت إليها رسالة أبيها، فقالت البنت]:

البنت : مهما أمرتماني به فعلتُه، ولا أخرج من تحت حكمكما، ولا أعاندكما بالمخالفة، بل أبرّكما.

[فزوّج القاضي ابنته بالمبارك، وأعطاهما مالاً عظيماً، فأولدها المبارك ولداً سمّاه «عبد اللّه» صاحب العلم والزهد ورواية الحديث رحمهم الله تعالى.

[مصدر هذه القصّة من كتاب: (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) صفحة ٨٥، وكتاب: (حدائق المحبّين) صفحة ٢٣٥ ـ ٢٣٨].

(٤)

ديوان عبد الله بن المبارك

دفع البلايا

● قال عبد الله بن المبارك في وصف الشباب المحبّين لله والمطيعين له:

١ ـ عَبِيدٌ لِمَوْلاَهُم تَعَالَى وَغَيْرُهُم
عَبِيدُ الهَوَى بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ كَالثَّرى

٢ ـ وَعُلُوُّ الثُّرَيَّا في ارْتِفَاعِ مَقَامِهِم
بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ البَلاَيَا عَنِ الوَرَى

---

١ ـ الثرى: التراب، أو الندي منه.

٢ ـ الثريا: مجموعة من النجوم. المقام: المنزلة. البلايا: المفرد: البلية أي: المصيبة والمحنة تنزل بالمرء. الورى: الخَلق.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (روض الرياحين في حكايات الصالحين) صفحة ١٥٢ ـ ١٥٣].

نحورنا بدمائنا تتخضّب

● روى عبد الله بن محمّد قاضي نصيبين، حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن أبي سُكَينة، قال: أملى عليّ ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومائة، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس(*):

١ ـ يَا عَابِدَ الحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

(*) نصيبين: مدينة في بلاد مما بين النهرين (تركيا حالياً) كانت منذ القرن الثالث الميلادي مهد الآداب حتى سقوطها في أيدي الساسانيين سنة ٣٦٥م، وهي كثيرة المياه وعليها سور كبير، وبها جامع كبير حسن العمارة. قال الشاعر:

وقد ألقت نَصِيبين إلينا سوادَ البطنِ بالخرج الشِّدادِ

طرسوس: سبق التعريف عنها في الفصل ٣ القصة رقم ٨. الفضيل بن عياض: سبق التعريف عنه في الفصل ٣ قصة رقم ٩.

١ ـ الحرمان: بمكّة والمدينة اللذان حرّم الله فيهما ما حرم، مما يجب فيه الجزاء والعقوبة للمنع منه، فحرم إبراهيم عليه السّلام مكة، وضرب عليه المنار حول مكّة فما كان داخل المنار فهو حَرَم، وما كان خارجه فهو حل، وحرم رسول الله ﷺ المدينة.

٢ ـ مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جِيدَهُ بِدُمُوعِهِ
فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

٣ ـ أَوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ
فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ

٤ ـ رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ

٥ ـ وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لاَ يُكْذَبُ

٦ ـ لاَ يَسْتَوِي غُبَارُ خَيْلِ اللهِ فِي
أَنْفِ امْرِىءٍ ودُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ

---

٢ ـ يخضب: يغيّر لونه، والخضاب: ما يخضب به من حنّاء ونحوه، النحور: المفرد: النحر: أعلى الصدر، وموضع القلادة منه.

٣ ـ الصبيحة: الصباح. ويوم الحرب.

٤ ـ العبير: أخلاط من الطيب. الرَّهَج والرَّهَج: الغبار. السّنابك: جمع سنبك، طرف مُقَدَّم الخيل، وجانباه من قُدَّام. وهي في الأصل كلمة معربة.

٥ ـ المقال: القول، والقطعة من الكتاب.

٦ ـ يشير ابن المبارك إلى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٥٦ و٣٤٢ و٤٤١) النسائي في سننه (٦/ ١٢/ و١٣ و١٤) والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً». وفي سنده ابن اللجلاج لم =

٧ ـ هٰـذا كـتَـابُ الـلَّـهِ يَـنْـطِـقُ بَـيْـنَـنَـا
لَـيْـسَ الـشَّـهِـيـدُ بِـمَـيِّـتٍ لاَ يُـكْـذَبُ

= يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات، وله طريق آخر عند الإمام أحمد (٢/ ٣٤٠) والنسائي (٦/ ١٢ و١٣) والحاكم (٢/ ٧٢) من حديث الليث، عن محمّد بن عجلان، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، وهذا سند حسن، وصحّحه ابن حبّان في الحديث رقم (٢٥٩٧) و(١٥٩٩).

٧ ـ إشارة إلى الآية الكريمة رقم ١٦٩ من سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. قال محمّد بن إبراهيم: فلقي الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرّحمن ونصح.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨، صفحة ٤١٢ و٤١٣، وكتاب: (تفسير ابن كثير) الجزء ٢ صفحة ١٩٣ و١٩٤. وكتاب: (الجهاد) صفحة ٩].

كفى الشّيب واعظا

● قال أبو العباس السراج: أنشدني يعقوب بن محمّد لابن المبارك:

١ ـ أَبِإِذْنٍ نَزَلْتَ بِي يَا مَشِيبُ
أَيُّ عَيْشٍ وَقَدْ نَزَلْتَ يَطِيبُ

٢ ـ وَكَفَى الشَّيْبَ وَاعِظاً غَيْرَ أَنِّي
آمِلُ الْعَيْشَ وَالْمَمَاتُ قَرِيبُ

٣ ـ كَمْ أُنَادِي الشَّبَابَ إِذْ بَانَ مِنِّي
وَنِدَائِي مُوَلِّياً مَا يُجِيبُ

---

١ ـ المشيب: الشيب، وهو بياض الشعر أو الشعر الأبيض نفسه.

٢ ـ واعظ: الناصح والمذكّر بالعواقب، يقال: السعيد من وُعِظ بغيره والشقي من اتّعظ به غيره.

٣ ـ بان: ظهر. مولي: غائب. وفي هذا الأبيات يناجي ابن المبارك نفسه ويعلّلها بالكبر، وأنّها أصبحت على مشارف الموت. أخرج البيهقي عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلاّ كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة» انظر الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم (٤٩٦٧).

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦].

● ولابن المبارك:

١ - جَرَّبْتُ نَفْسِي فَمَا وَجَدْتُ لها
مِنْ بَعْدِ تَقْوَى الإِلهِ كَالأَدَبِ

٢ - في كُلِّ حَالاَتِها وَإِنْ كَرِهَتْ
أَفْضَلَ مِنْ صَمْتِها عَنِ الكَذِبِ

٣ - أَوْ غِيْبَةِ النَّاسِ إن غِيبَتُهُم
حَرَّمَهَا ذُو الجَلاَلِ فِي الكُتُبِ

---

١ ـ الأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي، الجمع: آداب في شعر الفقهاء: أدبت.

٢ ـ كرهت: أبت ونفرت منه. الصمت: السكوت. الكذب: نقيض الصدق، وهو الإخبار عن أمر بخلاف ما هو عليه، قال تعالى في سورة يوسف الآية ١٨: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.
وقد ورد هذا البيت في: (شعر الفقهاء). بهذا النص: في كل حالاتها وإن قَصُرت. وفي الصمت يقول الكناني:
الصمتُ غنمٌ لأقوامٍ ومَسْتَرَةٌ والقَوْلُ في بعضه التضليلُ والفَنَدُ

٣ ـ الغيبة: أن تذكر أخاك في غيته بما يكره ويسوء ذكرُهُ. وهذا البيت إشارة إلى الآية =

٤ ـ قُلْتُ لَهَا طَائِعاً وَأُكْرِهُهَا
الحِلْمُ والعِلْمَ زَيْنُ ذِي الحَسَبِ

٥ ـ إِن كَانَ مِنْ فَضَّةٍ كَلاَمُك يَا
نَفْس فَإِنَّ السُّكُوتَ مِنْ ذَهَبِ

= الكريمة رقم ١٢ من سورة الحجرات: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.
قال أبو الحسن منصور التميمي في النمّام والكذّاب:

لي حيلةٌ فيمن يَنِمُّ ... وليسَ في الكذابِ حيلهْ
من كان يخلقُ ما يقول ... فحيلتي فيه قليلهْ

٤ ـ الحسب: ما يعده المرء من مفاخر آبائه. وهو: المال، والدِّين، والكرم، والشرف في الفعل. ولم يرد هذا البيت في (شعر الفقهاء).

٥ ـ في هذا القول يقول الإمام الشافعي: (صفحة ٣٣):

وجدتُ سكوتي متجراً فلزمتهُ ... إذا لم أجدْ ربحاً فلست بخاسرِ
وما الصمت إلاَّ في الرجال متاجرٌ ... وتاجُرهُ يعلو على كلِّ تاجرِ

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦ وكتاب (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) «المعهد» الجزء ٦].

لا خير في المال

• ينصح ابن المبارك بجميل الأخلاق كالكرم الذي لا يُحمد ثراه من دونه، وما أكثر أن يثمر ذوي الحاجة ثماراً ناضرة، ونشوة فرحة، فيقول:

١ ـ لاَ خَيْرَ فِي المَالِ لِكُنَّازِهِ
إِلاَّ جَوَادِ الكَفِّ وَهَّابِهِ

٢ ـ يَفْعَلُ أَحْيَاناً بِزُوَّارِهِ
مَا يَفْعَلُ الخَمْرُ بِشُرَّابِهِ

---

١ ـ الكناز: مدّخرو المال ولم ينفقوا منه ما يطلب إنفاقه، فهو كانز، والمال: مكنوز، وكنيز. قال تعالى في سورة التوبة الآية ٣٤ ـ ٣٥: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

الجواد: الكريم.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩. وكتاب: (روضة العقلاء) صفحة ٢١٣، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) «المعهد» ج٦].

فراق الحياة

● قال ابن المبارك في توديع رجل:

١ ـ وَهَـوَّنَ وجْـدي أَنَّ فِـرْقَـةَ بَـيـنـنَـا
فِـــراقُ حَـــيَـــاةٍ لا فِـــرَاقُ مَـــمَـــاتِ

---

١ ـ الوجد: الحب الشديد. الفُرقة: الافتراق. وفي هذا الصدد قال النابغة الذبياني: صفحة ٣٨ من الديوان:

لاَ مَرْحَبَاً بِغَدٍ، وَلاَ أَهْلاً بِهِ إنْ كَانَ تفريقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

[مصدر هذا البيت من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠، وكتاب: (طبقات الشعراني) الجزء ١ صفحة ٦٠، وكتاب: (بهجة المجالس) الجزء ١ صفحة ٢٤٦].

٧ لا أخالك ناجيا

● قال عبد الله بن المبارك لأصحابه: سأحدثكم ببيت من شعر، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: ما نصنع بالشعر، فأنشدهم:

١ ـ إِنْ تَنُجُ مِنْهَا تَنُجُ مِنْ ذِي عَظِيمةٍ
وَإِلاَّ فَإِنِّي لاَ إِخَالُكَ نَاجِيَا

«فأخذ القوم يبكون بكاء ما شوهدوا يبكون من شيءٍ ما بكوا يومئذ».

---

١ ـ إخالك: مصدر: خيل: خال الشيء، خيلاً، ومخيلة، ومخالة، وخيلاناً: ظنّهُ. والأفصح في مضارعه المسند إلى المتكلّم كسر الهمزة (إخالك ناجياً): وفتح الهمزة لغة، وهو ينصب مفعولين.
[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٤].

اغتنام السكوت

● من أسباب ورع ابن المبارك ألاّ تفوته فرصة من فراغ المشاغل دون أن يقضيها في محراب الطاعة وجناب الرّحمٰن، وكذلك ألاّ يزلّ في قول باطل ولا كلمةِ حَرام، وأن يستبدل بما من شأنه ذلك ذكراً مسبّحاً أو سكوتاً سالماً، فيقول:

١ ـ اغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللهِ
إِذَا كُنْتَ فَارِغاً مُسْتَرِيحا

٢ ـ وَإِذَا هَمَمْتَ بِالنُّطْقِ بِالبَاطِلِ
فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحا

---

١ ـ الزلفى: المنزلة والدرجة المقرّبة، (وألفها للتأنيث). قال تعالى في سور سبأ الآية ٣٧: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾. أي قربة، وقد ورد هذا البيت في (شعر الفقهاء) بإضافة (واو) في أوله: واغتنم.

٢ ـ هممت: قصدت وعزمت القيام به. الباطل: الذي لا يثبت عند الفحص، الجمع: أباطيل، والباطل عند الفقهاء: ما لا يكون مشروعاً بأصله، ويفرّق الحنفية دون غيرهم بين الباطل والفاسد فيقولون: الباطل: ما لا يكون مشروعاً بأصله ولا بوصفه، والفاسد: ما كان مشروعاً بأصله دون وصفه. التسبيح: مصدر: سبّح: إذا قال: «سبحان الله» و«سبحانك اللّهم» اسم مصدر من قولك: سبّحت الله تسبيحاً أي: نزّهته عن النقائص، وعما لا يليق بجلاله.

٣ ـ فَاغْتِنَامُ السُّكُوتِ أَفْضَلُ مِنْ
خَوْضٍ وَإِنْ كُنْتَ بِالكَلَامِ فَصِيحا

---

٣ ـ السُّكوت: الصَّمت. خاض في الكلام: أتى بالباطل وكَذَبَ. الفَصيحُ مَن يُحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه، يقال: كلام فصيح أي: سليم واضح يُدرك السمع حُسنه والعقل دقّته. ولسان فصيح: طَلْقٌ يعين صاحبه على إجادة التعبير. ورد هذا البيت في كتاب (شعر الفقهاء) بهذا النص:

إنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْـ ـقِ إذَا كُنْتَ بِالكَلَامِ فَصِيحا

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٧، وكتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٧. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٨. وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

ابن عمّ النبيّ

● ها هو ابن المبارك يصرّح بحبّه لعلي وعثمان فقد كان الإمام قدم صدق منذ فجر الدعوة، وكان عثمان تقياً ورعاً. فيقول:

١ ـ يَـابـنَ عَـمِّ الـنَّـبِـيِّ لاَ أُنْـسَ إلاَّ
حَـيْـثُ خَـيَّـمْـتَ مِـنْ جَـمِـيـعِ الْـبِـلاَدِ

٢ ـ أَنْـتَ نُـورُ الـرَّبِـيـعِ تَـفْـتَـقِـرُ الأَ
رْضُ إِلَـيْـهِ لِـحَـاضِـرٍ وَلِـبَـادِ

٣ ـ فَـإِذَا خَـيَّـمَـتْ رِكَـابُـكَ أَرْضـاً
أَزْعَـجَـتْ خِـيـفَـةً قُـلُـوبَ الـعِـبَـادِ

---

١ ـ ابن عمّ النبيّ: هو الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٥١). الأنس: ذهاب الوحشة، والطمأنينة.

٢ ـ لباد: مصدر بدو نسبة إلى البادية.

٣ ـ الركاب: الإبل التي تركب، الواحدة: راحلة، الجمع: رُكُبٌ، وركائب.

٤ ـ زِدْتَـهَـا فَـاسْـتَـزَدْتَ بَـهْـجَـةَ دُنْـيَـا
كَ فَـوَافَـيْـتُـمـا عَـلَـى مِـيـعَـادِ

---

٤ ـ البهجة: حسن لون الشيء ونضارته، وظهور الفرح وضحك أسارير الوجه. الميعاد: وقت الموعد وموضعه. الجمع: مواعيد.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٥. وكتاب: (أخبار القضاة) الجزء ٣ صفحة ٣٩٩].

بغداد مناخ للقارىء الصيّاد

● رأى عبد الله بن المبارك أبا العتاهية يلبس الصوف فقال:

١ ـ أَيُّهَا القَارِىءُ الَّذي لَبِسَ الصُّوفَ
وَأَضْحَى من بَعْد في الزُّهَّادِ

٢ ـ إلْزَم الثَّغْرَ والتَّعَبُّد فِيهِ
لَيْسَ بَغْدَادُ مَنْزِلَ العُبَّادِ

٣ ـ إنَّ بَغْدَادَ لِلْمُلُوكِ مَحَلٌّ
وَمُنَاخٌ لِلْقَارِىءِ الصَّيَّادِ

---

١ ـ القارىء: الناطق بألفاظ الكتابة عن نظر، أو عن حفظ. الزهّاد: العباد، المفرد زاهد، والمؤنّث: زاهدة.

٢ ـ الثغر: الموضع يُخاف هجوم العدو منه، ومنه سمّيت المدينة على شاطىء البحر ترسو فيها السفن. العبّاد: الذين يقيمون الشعائر الدينية.

٣ ـ مناخ: مصدر: نوخ، أي: محل الإقامة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٧].

● قال حبّان بن موسى: سمعتُ ابن المبارك ينشد:

١ ـ كَيْفَ القَرارُ وَكَيْفَ يَهْدَأُ مُسْلِمٌ
وَالمُسْلِمَاتُ مَعَ العَدُوِّ المُعْتَدِي

٢ ـ الضَّارِبَاتُ خُدُودَهُنَّ بِرَنَّةٍ
الدَّاعِيَاتُ نَبِيَّهُنَّ مُحَمَّدِ

٣ ـ القَائِلاتُ إِذَا خَشِينَ فَضِيحَةً
جُهْدُ المَقَالَةِ لَيْتَنَا لَمْ نُولَدِ

٤ ـ مَا تَسْتَطِيعُ وَمَا لَهَا مِنْ حِيلَةٍ
إِلاَّ التَّسَتُّرَ مِنْ أَخِيهَا بِاليَدِ

---

١ ـ القرار: المكان والثبات.

٢ ـ الرنة: الصوت الحزين عند الغناء أو البكاء، والصيحة الشديدة، الجمع: رنّات. الداعيات: هنا بمعنى المناديات والطالبات.

٣ ـ الفضيحة: ما يُعاب، والشهرة بما يُعاب، الجمع: فضائح. جهد المقالة: قدر ما يحتمله حال من قلّ ماله. والجهد: الوُسع والطاقة.

٤ ـ الحيلة: الحذق وجودة النظر، والخديعة، والدقّة على التصرّف، وياؤها مقلوبة عن واو. التستر: التخفي. ورجل مستور: عفيف. يقال: امرأة ستيرة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦].

● اختلف العلماء في تقييم حديث حماد بن زيد، فقيل عنه: ليس بأهل أن يحدّث، كذلك اختلفوا في تقييم كلام عمرو بن عبيد، فقيل عنه هذا سيد شباب القرّاء ما لم يحدث، وقيل عنه أيضاً: كان يشتم الصّحابة ويكذب في الحديث، وفيهما قال ابن المبارك(*):

١ ـ أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْماً

إِيتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدْ

(*) أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّ أصحَابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وحسّنه السيوطي في الحديث رقم ٨٧٣٤. أخرج الإمام أحمد في مسنده، والإمام مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه في الحديث رقم (٣٨) و(٤٠) عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من حدّث عني بحديث يرى أنّه كذب فهو أحد الكذابين» وصحّحه السيوطي في الحديث رقم (٨٦٣١).

١ ـ حماد بن زيد: بن درهم الأزدي الجهضمي، مولاهم، البصري، أبو إسماعيل، شيخ العراق في عصره، ومن حفّاظ الحديث المجوّدين، يُعرف بالأزرق، أصله من سبي سجستان، وُلد في البصرة سنة ٩٨هـ الموافق ٧١٧م وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م، وكان ضريراً طرأ عليه العمى، يحفظ أربعة آلاف حديث، خرّج أحاديثه الأئمة الستة. (انظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢١١، وتهذيب التهذيب: ٣/ ١٦٧، وحلية الأولياء: ١/ ١٦٧، واللباب: ١/ ٣٦، وتهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٦٧، والأعلام: ٢/ ٢٧١).

٢ ـ فَخُذِ الْعِلْمَ بِحِلْمٍ
ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدْ

٣ ـ وَذَرِ الْبِدْعَةَ مِنْ
آثَارِ عَمْرو بن عبيدْ

---

٢ ـ قيّده: سجّله. وقد ورد هذا البيت في سير أعلام النبلاء: ٧/ ٤٥٩ بهذا النص:

تَقْتَبِسْ حِلْماً وَعِلْماً ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدْ

وفي معنى هذا البيت يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقه
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتفكّها بين الخلائق طالقه

٣ ـ ذر: اترك ودع وبدد. البدعة: ما استحدثت في الدّين وغيره. عمرو بن عبيد: بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، وأحد الزهّاد المشهورين، كان جدّه من سبي فارس، وأبوه تـاجراً ثم شرطياً للحجّاج بن يوسف في البصرة، اشتهر عمرو بعلمه وزهده، وأخباره مع المنصور العباسي وغيره، وُلد سنة ٨٠هـ الموافق ٦٩٩م، قال فيه المنصور: كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد، له رسائل وخطب وكتب، توفي بمران قرب بمكة سنة ١٤٤هـ الموافق ٧٦١م، ورثاه المنصور. ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه، وفي العلماء من يراه مبتدعاً، قال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنّما الناس مثل الزرع. (انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٣٨٤، والبداية والنهاية: ١٠/ ٧٨، وميزان الاعتدال: ٢/ ٢٩٤، ومفتاح السعادة: ٢/ ٣٥، وطبقات المعتزلة: ٣٥ ـ ٤١، وأمالي المرتضى: ١/ ١١٧، والأعلام ٥/ ٨١). لم يرد البيت الثالث في سير أعلام النبلاء المرجع السابق.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ٧٩. وكتاب (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٦. وكتاب: (تاريخ الموصل للأزدي) صفحة ٢٨٣، وكتاب: (مختصر جامع العلم وفضله) صفحة ٦٤ وسير أعلام النبلاء: ٧/ ٤٥٩].

يد المعروف

● كانت خصلة الكرم تدفع إلى حثّ مستمر على بذل المعروف في كل الميادين، وتذكير المحسنين ألاّ يصدّوا عنه لما قد يرون من جحود لأيديهم وكفران لمعروفهم، فإن الله لن يضيع أعمالهم أبداً. قال ابن المبارك:

١ ـ يدُ المعروف غنمٌ حيث كانت
تحمَّلها شَكُورٌ أو كَفُورُ

٢ ـ فَفي شُكْرِ الشَّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ
وَعِنْدَ الله مَا كَفَرَ الكَفُورُ

---

١ ـ المعروف: الصنيعة التي يُسديها المرء إلى أخيه.

٢ ـ الشكور: الكثير الشكر من أسماء الله الحسنى.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٤١. وكتاب: (حماسة الظرفاء) الجزء ١ صفحة ١٦٩، وكتاب: (بهجة المجالس) صفحة ٣٠٧].

أبو حنيفة

• ولعبد الله بن المبارك إلى جانب أشعاره في الحكمة والجهاد أبيات في مدح بعض الصَّحابة من أمثال عثمان وعلي، أو في مدح أئمة العلم كأبي حنيفة، وها هو يقول:

١ - رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ
يَزِيدُ نَبَالَةً وَيَزِيدُ خَيرا

٢ - وَيَنْطِقُ بِالصَّوابِ وَيَصْطَفِيهِ
إِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الجُورِ جُورا

٣ - يُقَايِسُ مَنْ يُقَايِسُهُ بِلُبٍّ
فَمَنْ ذَا يَجْعَلُونَ لَهُ نَظِيرا

(*) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٦٠).

١ ـ النبالة: النَّجابة والشَّرف.

٢ ـ الصواب: ضد الخطأ، والسّداد، والحق. الجور: العدول عن القصد، وهو نقيض العدل، والضلال عن الطريق.

٣ ـ يقايس: يقدر يقال: قايس بين الشيئين: وازن بينهما وبين مقدار أحدهما بالنسبة =

٤ ـ كَفانا فَقْدَ حمادٍ وَكَانَتْ
مُصِيبَتُنَا بِهِ أَمْراً كَبِيرا

٥ ـ فَرَدَّ شَمَاتَةَ الأَعْداءِ عَنَّا
وَأَبْدَى لِعَبْدَهُ عِلْماً كَثِيرا

= إلى الآخر. اللّب: خالص كل شيء، وجوهره، وحقيقته، واللّبّ: العقل، الجمع: ألباب. النظير: المثل والمساوي، الجمع: نظراء، وهي: نظيرة، وجمعها: نظائر.

٤ ـ حماد: هو حماد بن زيد: انظر ترجمته في القصيدة رقم (١٢) المصيبة: الشدة والنازلة، الجمع: مصائب.

٥ ـ الشماتة: الفرح ببلية العدو، وأشمته الله بعدوّه: جعله يشمت به، الجمع: شُمات، وهُنَّ شوامت.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٥، وكتاب: (عبد اللّه بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٥٨].

● قال عبد الله بن المبارك:

١ ـ تَنَعَّمَ قَومٌ بِالْعِبَادَة والتُّقَى
أَلَذّ النَّعِيم لاَ اللَّذَاذَةَ بِالْخَمْرِ

٢ ـ فَقرَّت بِهِمْ طُولَ الحَيَاةِ عُيُونهُمْ
وَكَانَتْ لَهُمْ وَاللَّه زَاداً إِلَى القَبْرِ

٣ ـ على بُرْهَةٍ نَالُوا بِهَا الْعِزَّ والتُّقى
أَلاَ وَلَذِيذ العَيشِ بالبِرِّ والصَّبْرِ

---

١ ـ الألذ: الشهي: واللذة: نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة، والملذة: الشهوة. قال تعالى في سورة محمّد الآية ١٥: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾.

٢ ـ قرّت: سُرّت ورضيت.

٣ ـ البرهة: المدة الطويلة من الزّمان (الصحاح)، يقال: أقمت عنده برهة من الدهر، كقولك عنده سنة من الدهر (اللسان)، الجمع: بُرَهٌ وبرهاتٌ، (يُجيز القاموس والتاج أن تشمل البرهة المدة القصيرة أيضاً).

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٥].

لا يظلم مقدار نقير

● يلبث المتوفى بقبره، حتى إذا قامت السّاعة انتفض وانتظم في موقف الحشر أمام حاكم خبير عادل لا يظلم الناس شيئاً. وفي هذا قال ابن المبارك:

١ ـ اسْتَوْا عِنْدَ مَلِيكٍ
بِمَسَاوِيهِم خَبِيرِ

٢ ـ حَكَمٍ يَعْدِلُ لاَ يَظْـ
ـلِمُ مِقْدَارَ النَّقِيرِ

---

١ ـ المليك: ربّهم ومالكهم. بمساويهم: المساوي (لا تُهمَّز) المعايب والنقائص، ويقابلها: المحاسن. الخبير: من أسماء الله الحسنى، العالم بما كان وما يكون.

٢ ـ الحكم: من أسماء الله الحسنى، وهو الذي يفصل بين المتنازعين ويحكم في الأمور، قال تعالى في سورة الأنعام الآية ١١٤: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾. النقير: النقطة في ظهر النواة كالثقبة فيها، ويضرب بها المثل في القلّة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١١، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

دار البلاء

● إن الحياة تجربة ليست غير، يقدم كلٌ ورقة امتحانه ثم يمضي، وهكذا تتعاقب الأجيال، ويطوي القوم، وهم مستسلمون لهذا النظام السائد الرتيب، قال ابن المبارك:

١ ـ إِنَّـــهـــا دَارُ بَـــلَاءٍ
وَزَوَالٍ وَغُـــرُورِ

٢ ـ كَـمْ لَـعَـمْـرِي صـرعَـتْ قَـبْـ
ـلَـكَ أَصْـحَـابَ الـقُـصُـورِ

٣ ـ وَذَوِي الـهَـيْـئَـةِ فـي الـمـجْـ
ـلِـسِ وَالْـجَـمْـعِ الـكَـثِـيـرِ

---

١ ـ البلاء: المصيبة. الزوال: الهلاك. الغرور: ما اغتر به من متاع الدنيا.

٢ ـ لعمري: تقال في القسم أي: لديني.

٣ ـ الهيئة: الشكل والصورة.

٤ ـ أُخْـرِجُـوا مِـنْـهَـا فَـمَـا كَـا

نَ لَـدَيْـهِـمُ مِـنْ نَـكِـيـرِ

---

٤ ـ نكير: الإنكار، قال تعالى في سورة الشورى الآية ٤٧: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٧، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦.

التمس الرزق

● لا يبالي ابن المبارك في زهادته أن يطعم في دنياه القليل اليسير، ما دام ذلك حلالاً لا يوقعه في إثم ولا يُرديه في عذاب الآخرة، فيقول:

١ ـ وَالْتَمِسْ رِزْقَكَ مِنْ ذِي الْـ
ـعَرْشِ وَالرَّبِّ الْقَدِيرِ

٢ ـ وَارْضَ يَا وَيْحَكَ مِنْ دُنْـ
ـيَاكَ بِالْقُوتِ الْيَسِيرِ

٣ ـ وَاجْعَلَنْ ذَاكَ حَلاَلاً
تَنْجُ مِنْ نَارِ السَّعِيرِ

---

١ ـ التمس رزقك: اطلب الرّزق.

٢ ـ اليسير: القليل.

٣ ـ السعير: النار ولهيبها، الجمع: سُعُرٌ. ونارٌ سعير: موقدة مهيجة.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٨، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

● كان فتى يصحب ابن المبارك، يسمع منه كل يوم شيئاً يسيراً، فسافر ابن المبارك وسافر معه، فورد على عبد الله رجل في منزله فحدّثه ابن المبارك بحديث كثير، فوجد الفتى في نفسه فكتب إليه(*):

كُنْتُ زَوَّاراً لَكُمْ فِي أَرْضِكُمْ
وَأَنَا اليَومَ رَفِيقٌ فِي السَّفَرْ

ذَانِ حَقَّانِ عَظِيمَانِ مَعاً
لَيْسَ كَالطَّيْرِ الَّذِي جَاءَ فَمَرْ

فكتب ابن المبارك رحمه الله إليه:

١ - غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذٌ طَعْمُهَا
وَرَدِيءُ الذَّوْقِ مِنْهُ كَالصَّبِرْ

(*) وَجد: حزن.

١ ـ الصبر: التجلُّد وحُسن الاحتمال وترك الشكوى، وضبط النفس، وكظم الغيظ، والشجاعة، وسعة الصدر. الذوق: الحاسة التي تميّز بها الطعوم وتكون بواسطة الجهاز الحسّي في الفم، ومركزه اللّسان. الصّبِر: عُصارة شجر مرّ تستعمل =

٢ ـ إِنَّ فِي الصَّبْرِ لَفَضْلاً بَيِّناً
فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِر

= في الطب، واحدته صبرة، الجمع: صُبُورٌ. وقد ورد هذا البيت في (شعر الفقهاء) ٣٣١ بهذا النص:

آخِرُ العِلْمِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ وَبَذِيءُ الذَّوقِ مِنْهُ كَالصَّبِرْ

٢ ـ تصطبر: تحتمل الصبر.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٦، وكتاب: (عبد الله بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٥٩ وكتاب (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣١].

ليس تعصي الله كي تفتقر

● ولابن المبارك:

١ ـ يـا عَـائِـبَ الـفَـقْـرِ أَلاَ تَـزْدَجِـرْ
عَـيْـبُ الـغِـنَـىٰ أَكْـثَـر لَـوْ تَـعْـتَـبِـرْ

٢ ـ مِـنْ شَـرَفِ الـفَـقْـرِ وَمِـنْ فَـضْـلِـهِ
عَـلَـىٰ الـغِـنَـىٰ لَـوْ صَـحَّ مِـنْـكَ الـنَّـظَـرْ

٣ ـ إِنَّـكَ تَـعْـصـي لِـتَـنَـالَ الْـغِـنَـىٰ
وَلَـيْـسَ تَـعْـصـي الله كَـيْ تَـفْـتَـقِـرْ

---

١ ـ عائب: مصدر عاب: وصمه بالنقص والمذمّة، الجمع: عيوب. تزدجر: تنتهر وتمتنع. تعتبر: تتدبّر وتتعظ.

٢ ـ من شرف الفقر: من كرامته.

٣ ـ أي: أنك تعصي ربك في حقوقه لكي تجمع المال، ولا يعقل أن يعصي الغني ربّه ليكون فقيراً، لكنه يعصيه بعدم طاعته له ويبدد أمواله عندها يفتقر، فيكون هذا امتحان بالنسبة له.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٦].

احذر الصرعة

● قال الكُدَيمي: حدَّثنا عبدة بن عبد الرَّحيم قال: كنت عند فضيل بن عياض وعنده ابن المبارك، فقال قائل: إن أهلك وعيالك قد احتاجوا مَجهودين محتاجين إلى هذا المال، فأتِ الله، وخذْ من هؤلاء القوم، فزجره ابنُ المبارك، وأنشأ يقول(*):

١ - خُـــذْ مِـــنَ الـــجَـــارُوشِ والآ
رُزِّ والـــخُـــبْـــزِ الـــشَّـــعِـــيـــرْ

٢ - وَاجْـــعَـــلَـــنْ ذَاكَ حَـــلاَلاً
تَـــنْـــتُـــجُ مِـــنْ حَـــرِّ الـــسَّـــعِـــيـــرْ

(*) فضيل بن عياض: انظر ترجمته في الفصل الثالث القصة رقم ٩.

١ - الجاروش: مصدر جرش: القمح لم ينعم دقه فهو مجروش. والجريش: المجروش من الحبوب وغيرها.

٢ - السَّعير: النار ولهيبها، الجمع: سُعُر، ونار سعير: موقدة مهيجة، قال تعالى في سورة الشورى الآية ٧: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

٣ ـ وَأَنَـأَ مـا اسْـتَـطَـعْـتَ هَـذَا

كَ اللهَ عَـنْ دَارِ الأَمـيـرْ

٤ ـ لا تَـزُرْهَـا وَاجْـتَـنِـبْـهَـا

إِنَّـهَـا شَـرٌّ مَـزُورْ

٥ ـ تُـوهِـنُ الـدِّيـنَ وَتُـدْ

نِـيـكَ مِـنَ الـحُـوبِ الـكَـبـيـرْ

٦ ـ قَـبْـلَ أَنْ تَـسْـقُـطَ يَـا

مَـغْـرور فـي حُـفْـرَةٍ بِـيـرْ

٧ ـ وَأَرْضَ يَـا وَيْـحَـكَ مِـنْ

دُنْـيَـاكَ بِـالـقُـوتِ الـيَـسِـيـرْ

---

٣ ـ وأنأ: مصدر: نأي: النأي: البعد والمفارقة، وناءى عن الشَّرِّ: أبعده، وانتأى: ابتعد، والمنتأى: الموضع البعيد، وتناءوا: تباعدوا.

٤ ـ اجتنبها: ابتعد عنها. مزور: مصدر: زور، وزاره زوراً وزيارة ومزاراً: قصده أو أتاه داره للأنس به أو لحاجة إليه.

٥ ـ توهن: تضعف، والوهن: الضعف في العمل أو الأمر أو البدن، والواهن. الضعيف. الحوب: الإثم والهلاك.

٦ ـ المغرور: المخدوع. وغرّه خدعه وأطمعه بالباطل: قال امرؤ القيس: (الديوان صفحة ٣٢):

أَغَرَّكِ مِـنِّـي أَنَّ حُـبَّـكِ قَـاتِـلِـي وَأَنَّكِ مَهْما تأْمُري القَلْبَ يَفْعَلُ

٧ ـ ويح: كلمة ترحُّم وتوجُّع، يقال: ويحٌ لفلان، وويحاً له، وويحه، وقد تأتي بمعنى المدح والتعجب. اليسير: القليل، وشيء يسير: هيِّن.

٨ ـ إِنَّـــهَـــا دَارُ بَـــلاَءٍ
وَزَوَالٍ وَغُـــــــــــــــرُورْ

٩ ـ مَـــا تَـــرَىٰ قَـــدْ صَـــرَعْـــتَ
قَـبْـلَـكَ أَصْـحَـابَ الـقُـصُـورْ

١٠ ـ كَـــمْ بِـبَـطْـنِ الْأَرْضِ مِـــنْ
ثَـــاوٍ شَـــرِيـــفٍ وَوَزِيـــرْ

١١ ـ وَصَـغِـيـرِ الـشَّـأْنِ عَـبْـدٍ
خَـامِـلِ الـذِّكْـرِ حَـقِـيـرْ

١٢ ـ لَـوْ تَـصَـفَّـحْـتَ وُجُـو
هَ الـقَـوْمِ فِـي يَـوْمٍ نَـضِـيـرْ

١٣ ـ لَـمْ تُـمَـيِّـزْهُـمْ وَلَـمْ
تَـعْـرِفْ غَـنِـيـاً مِـنْ فَـقِـيـرْ

---

٨ ـ البلاء: الفناء، والمصائب والمحن. الزوال: الهلاك. الغرور: ما اغترَّ به من متاع الدنيا. وابن المبارك يعني بقوله: الدنيا دار الفناء.

٩ ـ صرعت: طرحت أرضاً، وأهلكت. يقال: صرع الموت فلاناً أي: أهلكه.

١٠ ـ ثاو: مصدر ثوي. ثوى بالمكان: أقام واستقر وأطال الإقامة به فهو ثاوٍ، أي: مقيم، وثوى فلان: مات. والمثوى: المنزل الذي يُقام فيه، الجمع: مثاوي.

١١ ـ الخامل: الساقط الذي لا نباهة له، الجمع: خَمَلَةٌ. الحقير: المهان والمذل.

١٢ ـ تصفحت وجوه القوم: نظرت فيهم لتعرف أمورهم، أو لتتعرف على أحدهم. النضير: الحسن والجميل.

١٤ ـ خَـمَـدُوا فَـالـقَـوْمُ صَـرْعَـىٰ
تَـحْـتَ أَشْـقَـاقِ الـصُّـخُـوْرْ

١٥ ـ وَاسْـتَـوَوْا عِـنْـدَ مَـلِـيـكٍ
بِـمَـسَـاوِيـهِـم خَـبِـيـرْ

١٦ ـ احْـذَرِ الـصَّـرْعَـةَ يَـا
مِـسْـكِـيـنُ مِـنْ دَهْـرٍ عَـثُـوْرْ

١٧ ـ أَيْـنَ فِـرْعَـونُ وَهَـا
مَـانُ وَنَـمـرُوذُ الـنُّـسُـوْرْ

---

١٤ ـ خمدوا: سكنوا. صرعى: موتى. اشقاق الصخور: بقايا الصخور وحفرها.

١٥ ـ استووا: استقاموا واعتدلوا. المليك: الرب والمالك. قال تعالى في سورة القمر الآية ٥٥: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. المساوي: (لا تُهْمَزْ): المعايب، والنقائص، ويقابلها المحاسن. (قيل لا واحد لها، وقيل واحدها: سوء على غير قياس).

١٦ ـ الصَّرعة: الموتة. العثور: مصدر عثر أي: سقط وتعس وزل وكبا.

١٧ ـ فرعون: انظر ترجمة الفراعنة في القصيدة رقم (٥١) هامان: (انظر ترجمته في المرجع السابق). نمروذ: النماردة هم ستة نفر: الأول: نمروذ بن كنعان بن حام بن نوح وهو الذي ملك الدنيا، وهو صاحب إبراهيم عليه السَّلام، والثاني: نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وهو صاحب النسور، وأمّه فرتن بنت يارب بن الدرمسيل بن محويل بن أخنوخ وهو إدريس عليه السَّلام (وهذا الذي عناه ابن المبارك) والثالث: نمروذ بن ماش بن إرم بن سام بن نوح، والرابع: نمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، وقيل: هو نمروذ إبراهيم عليه السَّلام أيضاً. والخامس: نمروذ بن ساروع بن أرعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، =

١٨ ـ أَوَ مَـــا تَـــخـــشَـــاهُ أَنْ

يَـرمِـيـكَ بِـالْـمَـوْتِ الـمُـبِـيـرْ

١٩ ـ أَوَ مَـــا تَـــحْـــذَرُ مِـــنْ

يَـــوْمِ عَـبُـوسٍ قَـمْـطَـرِيـرْ

٢٠ ـ اقْـمَـطَـرَ الـشَّـرُّ فِـيـهِ

بِـــعَـــذَابِ الـــزَّمْـــهَـــرِيـــرْ

فغشي على الفضيل، فردَّ ذلك ولم يأخذه.

= والسادس: نمروذ بن كنعان بن المضاض بن يقظان بن عبير بن أرفخشذ بن سام بن نوح. (المحبر لابن حبيب صفحة ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

١٨ ـ المبير: الكذاب والمفتري والظالم.

١٩ ـ العبوس: المتجهم. القمطرير من الأيام: الشديد الطويل المظلم. قال تعالى في سورة الإنسان الآية ١٠: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

٢٠ ـ اقمطرَّ: جلل وحفظ. الزمهرير: شدة البرد. وزمهرت عينه: احمرت غضباً، وازمهر اليوم: اشتد برده. قال تعالى في سورة الإنسان الآية ١٣: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

[مصدر هذه القصيدة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٥ ـ ٤١٦].

● ذكر التدليس في مجلس كان فيه عبد الله بن المبارك، فقال فيه قولاً شديداً، ثم أنشد:

١ ـ دلَّسَ لِلنَّاسِ أَحَادِيثَهُ
والله لاَ يَقْبَلُ تَدْلِيسَا

---

١ ـ التدليس: أن يروي الراوي عمّن عاصره ما لم يسمع منه بصيغة لا تقتضي السماع، أو يصف الشيخ الذي روى عنه بأوصاف لا تُعرف، وهو مذموم على الإطلاق، حتى بالغ إمام الجرح والتعديل شعبة بن الحجاج فقال: لأن أزني أحب إليّ ما أن أدلّس، وقال: التدليس أخو الكذب، والصحيح الذي رشحه أئمة الحديث وجهابذته أن ما رواه الموصوف بالتدليس بلفظ محتمل لم يصرح فيه بالسماع لا يقبل، وما صرّح فيه بالسماع يقبل، وهذا إذا كان المدلّس ثقة في روايته.
[مصدر هذا البيت من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٠٨].

● وللإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

١ ـ مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَىٰ أَنْ تُدَنِّسَهُ
وَثَوبكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

٢ ـ تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا
إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَىٰ الْيَبَسِ

---

١ ـ دنَّس: لطخه بالوسخ. والدّنس: الوسخ، الجمع: أدناس.

٢ ـ النجاة: السلامة. اليبس: ما أصله من اليبوسة ولم يُعهد رطباً، واليابس: الجاف الصلب.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سمير المؤمنين) صفحة ٢٦].

ركن الرمح

● كان المبارك غالباً ما ينشد:

١ ـ كُـلُّ عَـيْـشٍ قَـدْ أَرَاهُ نَـكَـداً
غَـيْـرَ رُكْـنِ الـرُّمْـحِ فـي ظِـلِّ الـفَـرَسْ

٢ ـ وَقِـيـامٍ فـي لَـيـالٍ دُجُـنٍ
حَـارِسـاً لِـلـنَّـاسِ فـي أَقْـصَـى الـحَـرَسْ

---

١ ـ النكد: كل شيء جرّ على صاحبه شرّاً. ركن الرمح: الجهاد.

٢ ـ الدّجُنُ: ظلمة الغيم في اليوم المطير، والمطر الكثير، الجمع: دُجون. أقصى الحرس: في أبعد مكان يتواجد فيه الجيش.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٦].

● قيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ فقال: أجزتَ في أرض فيها شوك؟ فقال: نعم. فقال: كيف كنت تصنع؟ فقال: كنت أتوقّى. قال أبو هريرة: فتوقّ الخطايا. وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك(*):

١ ـ أَيَضْمَنُ لي فَتًى تَرْكَ المَعَاصي
وَأُرْهِنُهُ الكَفَالَةَ بِالْخَلاَصِ

(*) أبو هريرة: هو عبد الرَّحمن بن صخر الدوسي، صحابي كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ. ولزم صحبة النبي ﷺ فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، وولي إمرة المدينة مدة، ولما صارت الخلافة إلى عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين، ثم رآه ليِّن العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله. وُلِد سنة ٢١ق.هـ الموافق ٦٠٢م وتوفي بالمدينة سنة ٥٩هـ الموافق ٦٧٩م. (انظر: تهذيب الأسماء واللّغات: ٢/ ٢٧٠، وصفة الصفوة: ١/ ٢٥٨، والإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم ١١٧٩، والأعلام: ٣/ ٣٠٨).

١ ـ أرهنه: أكفله وأضمنه. الكفالة: الضمان، الجمع كفالات. الخلاص: النجاة والفوز.

٢ ـ أَطَـاعَ الـلَّـهَ قَـوْمٌ وَاسْـتَـرَاحُـوا
وَلَـمْ يَـتَـجَـرَّعُـوا غـصَـصَ الـمَـعَـاصـي

---

٢ ـ يتجرعوا: يتكلفوا جرعة مرة بعد مرة. غصص: اعترض في حلقه شيء من الطعام أو الشراب فلم يكد يبتلعه.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (أدب الدنيا والدين) صفحة ٨٨ وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٤].

الجنان

● بعد أن تظهر النتائج، فريق يفوزون بالجنة، خالدين فيها، وفريق يكبكبون على وجوههم في نار جهنم فتموج بهم وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها، قال ابن المبارك(*):

١ ـ أَفِي الجِنَانِ وَفَوز لاَ انْقِطَاعَ لَهُ
أَم الجَحِيمِ فَمَا تُبْقِي وَلاَ تَدَعُ

٢ ـ تَهوي بِهَلْكَاتِهَا طَوْراً وَتَرْفَعُهُمْ
إِذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّهَا وَقَعُوا

(*) يكبكبون: من: كب: متساقطون على وجوههم متعثرين في مشيهم، قال تعالى في سورة الملك الآية ٢٢: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١ ـ الجنان: المفرد جنة، دار النعيم في الآخرة. الجحيم: اسم من أسماء جهنم، النار الشديدة التأجج، يقال: جحيم مستعرة.

٢ ـ الهلكات: الموت، إشارة إلى الآية الكريمة رقم ٢٢ من سورة الحج: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٣].

العبد عبد النفس

• وسمع بعضهم ابن المبارك وهو ينشد على سور طرسوس:

١ ـ وَمِنَ البَلاَءِ وَلِلْبَلاَءِ عَلاَمَةٌ
أَنْ لا يُرَىٰ لَكَ عَنْ هَوَاكَ نُزُوعُ

٢ ـ العَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ في شَهَوَاتِها
وَالحُرُّ يَشْبَعُ مَرَّةً وَيَجُوعُ

---

١ ـ البلاء: الاختبار والتجربة والامتحان، قال تعالى في سورة الأنبياء الآية ٣٥: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. النزوع: الذي يحنّ إلى وطنه ويشتاقه.

٢ ـ النفس: الروح، والذات.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٧. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢. وكتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ٣٠٦، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

أهل الأمن في الدنيا هجوع

• أوحى الله جلّ جلاله إلى النبي داود عليه السّلام: يا داود كذب من ادّعى محبتي، وإذا جنّ الليل نام عني، أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه.

وفي هذا يقول عبد الله بن المبارك(*):

١ ـ إِذَا مَـا الـلَّـيْـلُ أَظْـلَـمَ كَـابَـدُوهُ
فَـيُـسْـفِـرُ عَـنْـهُـمُ وَهُـمُ رُكُـوعُ

٢ ـ أَطَـارَ الـخَـوْفُ نَـوْمَـهُـمُ فَـقَـامُـوا
وَأَهْـلُ الْأَمْـنِ فِـي الـدُّنْـيَـا هُـجُـوعُ

(*) داود عليه السّلام: النّبيّ، والد سليمان الحكيم عليه السّلام، وأحد أجداد السيّد المسيح، أنزل الله عليه الزبور. ورد ذكره في القرآن الكريم في ١٦ موضعاً. جنّ الليل: أظلم، الخلوة: الانفراد ومكانه.

١ ـ كابدوه: قاسوا شدّته وعانوا مشقته. يسفر: يكشف.

٢ ـ الهجوم: النوم ليلاً. والهجعة: النومة الخفيفة من أول الليل.

وفي قول ابن المبارك كان العلّامة فتح الدين بن أمين الدّين الحكم التحريزي يتمثل بهذه الأبيات:

يـا أيـهـا الـراقـد كـم تـرقـد ... قـم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخـذ مـن الـلّـيـل ولـو سـاعـة ... تـحـظـى إذا مـا هـجـع الـرُّقَّـدُ
من نام حتى ينقضي ليله ... لـم يـبـلـغ الـمـنـزل لـو يُـجـهـد

٣ ـ لَهُمْ تَحْتَ الظَّلامِ وَهُمْ سُجُودٌ
أَنِينٌ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضلوعُ

٤ ـ وَخُرْسٌ بِالنَّهارِ لِطولِ صَمْتٍ
عَلَيْهِم مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعُ

---

٣ ـ الأنين: الصوت من ألم أو مرض. تنفرج: تنكشف عن الهمّ، الضلوع: المفرد: ضلع: القفص الصدري.

٤ ـ السكينة: الهدوء والطمأنينة وخشوع القلب. والبيت الثالث والرابع لم يردا في المستطرف وشعر الفقهاء.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (المستطرف في كل فن مستظرف) الجزء ١ صفحة ١٤. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٦. وكتاب: (إحياء علوم الدِّين) الجزء ١ صفحة ٣٦٩، وكتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٢٠٦].

إن المحب لمن يحب مطيع

• روي أن زليخا لما آمنت وتزوّج بها يوسف عليه السّلام، انفردت عنه وتخلّت للعبادة، وانقطعت إلى الله تعالى، فكان يدعوها إلى فراشه نهاراً فتدافعه إلى الليل، فإذا دعاها ليلاً سوّفت به إلى النهار، وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبّك قبل أن أعرفه، فأما إذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه، وما أريد به بدلاً. حتى قال لها: إن الله جلّ ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين. فقالت: أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى، فعندها سكنت إليه، فإذن من أحب الله لا يعصيه. وفي هذا يقول ابن المبارك(*):

(*) زليخا: زوجة العزيز السابقة، والتي أحبت يوسف، ودعته إلى نفسها فأبى، فلفقت عليه الكذب وادعت به أمام زوجها الذي فاجأها. ورد ذكرها في سورة يوسف رقم (١٢).

يوسف: النبيّ عليه السّلام ابن يعقوب، رماه إخوته في البئر حسداً، فأخذته قافلة وباعته في سوق العبيد، واشتراه عزيز مصر، ورد ذكره في القرآن الكريم. سوّفت: مطلت.

١ ـ تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
هَذَا لَعَمْرِي فِي الفِعَالِ بَدِيعُ

٢ ـ لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ
إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

---

١ ـ لعمري: حياتي، تقال في القَسَم. البديع: المبدع الخالق، قال تعالى في سورة البقرة الآية ١١٧: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: موجدها، والبديع أيضاً: المُحْدث العجيب والمتفرد من بين نظائره، الجمع: بدائع.

٢ ـ في هذا الصدد يقول الشاعر:
وَأَتْرُكُ مَا أَهْوَىٰ لِمَا قَدْ هَوِيتَهُ
فَأَرْضَىٰ بِمَا تَرْضَىٰ وَإِنْ سَخِطَتْ نَفْسِي

وقال الشاعر أيضاً:
أُرِيدُ وِصَالَه وَيُرِيدُ هَجْرِي فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (المحبة والشوق والأنس والرّضا). صفحة ٧٥].

فيها السرائر والجبار مطّلع

● قال ابن سهم الأنطاكي: سمعت ابن المبارك ينشد:

١ - فَكَيْفَ قَرَّتْ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُم
أَو اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا

٢ - وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لاَ بُدَّ مَوْرِدُهَا
وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ

٣ - وَالمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْراً عَلاَنِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا

---

١ ـ قرَّت أعينهم: هدأت، كناية عن السرور، فهو قرير العين وعينه قريرةٌ، يقال: قَرَّ بهذا الأمر عيناً أي: سُرَّ ورَضي. استلذوا: وجوده لذيذاً، واللّذيذ: الشهي، والملذة: نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة أو الرغبة، قال الله تعالى في سورة محمّد الآية ١٥: ﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾. هجعوا: ناموا ليلاً، والهجوع: النوم ليلاً.

٢ ـ ضاحية: علانية. موردها: من: ورد أي: حضر ووصل وبلغ.

٣ ـ إضافة من كتاب (شعر الفقهاء) وليست في (سير أعلام النبلاء).

٤ ـ وَطَارَتِ الصُّحفُ في الأَيْدي مُنَشَّرةً
فِيهَا السَّرَائِرُ والجبَّارُ مُطَّلِعُ

٥ ـ إِمَّا نَعِيمٌ وَعَيْشٌ لاَ انْقِضَاءَ لَهُ
أَوِ الجَحِيمُ فَلاَ تُبْقِي وَلاَ تَدَعُ

٦ ـ تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْراً وَتَرْفَعُهُ
إِذَا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا

٧ ـ لِيَنْفَعَ العِلْمُ قَبْلَ المَوْتِ عَالِمهُ
قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

---

٤ ـ الصحف: ما يكتب فيه من ورق ونحوه، وقد عنى هنا ابن المبارك: كتابه إشارة إلى الآية الكريمة رقم ٧١ من سورة الإسراء: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾. منشرة: متفرقة. السرائر: المفرد سر: أي ما يكتمه المرء في نفسه من الأمور، وهنا لا أحد يطلع على ما في الكتب سوى الله جلّ جلاله: الجبّار: من أسماء الله الحسنى. قال سيدي الدردير:

وَجُدْ لي بِعِزٍّ يَا عَزِيزَ وَقُوَّةٍ وَبِالْجَبرِ يَا جَبَّارُ بَدِّدْ عَدُوَّنَا

٥ ـ النَّعيم: كل ما يلتذ به ويتنعم من طعم ومفرش وغير ذلك، وطيب العيش وحُسن الحال. انقضاء له: فناء وانقطاع. الجحيم: اسم من أسماء جهنم، والنار الشديدة التأجج.

٦ ـ تهوي: توقع وتسقط من علو إلى سفل. الطور: المرّة والتارة. رجوا: تأمّلوا، من الرجاء. المخرج: الخروج، وزمان الخروج ومكانه. غمّها: كربها وحزنها. قمعوا: مصدر قمع: أي ضربه بالقمعة أو ضرب على أعلى رأسه.

٧ ـ الرُّجعى: الرجوع، قال الله تعالى في سورة العلق الآية ٨: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾. وفي: (شعر الفقهاء): يُشَفِّعُ العلمُ قبل الموت عالمه.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٣. وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٢].

إلى الله أشكو

● صالح الأخلاق طاقة دافعة إلى العزّة والمحافظة على وشائج القربى، ومن طرق أبوابها فتح عليه منها خير جمّ وعطاء كثير. قال ابن المبارك:

١ ـ إِلَى الله أشكو لا إلى النَّاسِ أنَّني
أَرَى صالِحَ الأخلاقِ لا أَسْتَطِيعُها

٢ ـ أَرَى خَلَّةً في إخْوَةٍ وَعَشِيرَةٍ
وَذِي رحمٍ ما كُنْتُ مِمَّنْ يُضيعُها

٣ ـ فَلَوْ طَاوَعَتْني بالمَكَارِمِ قُدْرَة
لَجَادَ عَلَيْها بالنَّوَالِ رَبيعُها

---

١ ـ صالح الأخلاق: أحسن الأخلاق.

٢ ـ الخَلة: الخصلة. يقال: فيه خلَّةٌ حسنة وخلَّة سيئة، الجمع: خلال. العشيرة: عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته. ذو الرَّحم: القريب، أو القريب من جهة النساء.

٣ ـ المكارم: فعل الخير. وفي الحديث النبوي الشريف: «بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ». وقال الشاعر:

عَلَى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وَتَأْتِي على قَدْرِ الكِرَامِ المكارِمُ

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٤٠].

بادر الورعا

● ولعبد الله بن المبارك:

١ ـ يـا طَـالِـبَ الْـعِـلْـمِ بَـادِرِ الـوَرَعَـا
وَهَـاجِـرِ الـنَّـوْمَ وَاهْـجِـرُ الـشِّـبَـعـا

٢ ـ يَـا أَيُّـهَـا الـنَّـاسَ أَنْـتُـمُ عُـشُّـبٌ
يَـحْـصُـدُهُ الـمَـوْتُ كُـلَّـمـا طَـلَـعـا

---

١ ـ بادر: عاجل. الورع: التقوى، واجتناب المعاصي والشُّبهات. الشبع: ضد الجوع.

٢ ـ يحصده: يقطعه في إبان نضجه. طلع: نما وعلا.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سمير المؤمنين) صفحة ٣٧].

لله درّ القنوع

● قال ابن المبارك:

١ ـ لِلّهِ دَرُّ الْقُنُوعِ مِنْ خُلُقٍ
كَمْ مِنْ وَضِيعٍ بِهِ قَد ارتَفَعا

٢ ـ يَضِيقُ صَدْرُ الفَتَى بِحَاجَتِهِ
وَمَنْ تَأَسَّى بِدُونِهِ اتَّسَعا

---

١ ـ لله درك: أي لله ما بَذَلْتَ من خير وما قمت به من عمل تقال في المدح والتعجّب. القنوع: الكثير القناعة، والقناعة: رضا الإنسان بما قسم له. الوضيع: المحطوط القَدْرِ، الدنيء.

٢ ـ تأسى: تصبَّر وتعزَّى.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢، وكتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ٣٠٤].

المرء مثل الهلال

● حدَّث هاشم بن مرثد قال: سمعت أبا صالح الفراء يقول: سمعت ابن المبارك يقول:

١ ـ الـمَـرْءُ مِـثْـلُ هِـلالٍ عِـنْـدَ رُؤْيَـتِـهِ
يَـبْـدو ضَـئِـيـلاً تَـرَاهُ ثُـمَّ يَـتَّـسِـقُ

٢ ـ حـتَّـى إذا مـا تَـرَاهُ ثُـمَّ أَعْـقَـبَـهُ
كَـرُّ الـجَـديـدَيْـنِ نَـقْـصـاً ثُـمَّ يَـمَّـحِـقُ

---

١ ـ الهلال: القمر في الليلتين الأولى والثانية أو في الليالي الثلاث الأُوَل من بدء الشهر القمري. يتسق: يجتمع وينضم ويتنظم. قال تعالى في سورة الانشقاق: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾.

٢ ـ أعقبه: جاء خلفه. الكرّ: الرجوع وخلاف الفر. يمحق: يمحي ويستأصل. ومحق العدو: أهلكه، قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٤١: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤٢٠].

• من محامد الأخلاق حسن المعاشرة، ودماثة الصحبة، والمعاملة اللينة الرقيقة، وأن يأخذ كل فرد نفسه بالمحاسبة والمراقبة، ويعفو عن هفوات خلاّته في الوقت الذي لا يضنّ عليهم بالموعظة الحسنة والنصيحة الطيبة دون تجريح ولا مذمّة ولا تعييب، وإلاّ فقدهم واحداً واحداً. فيقول ابن المبارك:

١ ـ إِذا صَاحَبْتَ فِي الأَسْفارِ قَوْماً
فَكُنْ لَهُمُ كَذِي الرَّحِمِ الشَّفِيقِ

٢ ـ بِعَيْبِ النَّفْسِ ذُو بَصَرٍ وَعِلْمٍ
غَنِيُّ النَّفْسِ عَنْ عَيْبِ الرَّفِيقِ

٣ ـ ولاَ تَأْخُذْ بِعَثْرَةِ كُلِّ قَوْمٍ
وَلَكِنْ قُلْ هَلُمَّ إِلَى الطَّرِيقِ

---

١ ـ الأسفار: جمع السفر. ذو الرحم: صاحب القرابة، وبر الأقرباء.

٢ ـ العيب: الوصمة والنقيصة والمذمّة. الجمع: عيوب. الرفيق: الصاحب وخاصة في السَّفر، الجمع: رفقاء.

٣ ـ العثرة: الزلّة والسَّقطة، الجمع: عثرات. يقال: أقال الله عثرته أي صفح عنه. =

٤ ـ فَإِنْ تَأْخُذْ بِعَشْرَتِهِمْ يَقِلُّوا
وَتَبْقَىٰ فِي الزَّمَانِ بِلا صَدِيقِ

= هَلُمّ: كلمة دعاء إلى الشيء، نحو: هلم إلى العمل، أي: أقبل على العمل. وقد تلحق بها الضمائر في لغة نجد: هلم يا رجل، هلموا يا رجال، وهلمي يا فتاة.

٤ ـ أي لا تعب أحداً فتصبح وليس معك أحداً.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦، وكتاب: (عبد الله بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٦٤. وقد نسبت الأبيات في مناقب الشافعي ٢/ ٨٤ إلى الإمام الشافعي].

عفت جوارحهم

● جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فقال له: رضي الله عنك، صف لي الوالهين بالله. فقال: هم كما أقول لك، وأنشد:

١ ـ مُسْتَوْفِدِينَ عَلَى رَحْلٍ كَأَنَّهُمُ
رَكْبٌ يريدونَ أنْ يَمْضُوا وَيَنْتَقِلوا

٢ ـ عَفَّتْ جَوَارِحُهُمْ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ
فَالصِّدْقُ مَذْهَبُهُمْ وَالْخَوْفُ وَالْوَجَلُ

---

١ ـ مستوفد: قادم وارد. الرَّحْل: ما يوضع على ظهر البعير أو الناقة لركوب الرجال، وما يستصحبه الراكب من متاع. الجمع: أرحال ورحال. يقال ألقى أو حطّ فلان رحاله أي: نزل وأقام.

٢ ـ عفت: كفت عمّا لا يحل ولا يجمل. الجوارح: المفرد: الجارحة أي: العضو العامل من أعضاء الجسد كاليد والرجل. الوجل: الخوف والفزع، الجمع أوجال.
[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٦].

لا تكن سامري العرض

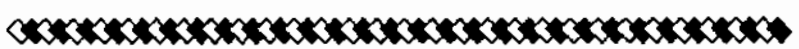

● ومما استحسن له من الشعر:

١ ـ قَرِّبْ طَعَامَكَ وابْذِلْه لِمَنْ دَخَلا
وَاحْلِفْ عَلَىٰ مَنْ أَبَى وَاشْكُرْ لِمَنْ أَكَلا

٢ ـ وَلاَ تَكُنْ سَامِرِيَّ العَرْضِ مُحتَشِماً
مِنَ القَلِيلِ فَلَسْتَ الدَّهْرَ مُحتَفِلا

---

١ ـ ورد هذا البيت في (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٦ بهذا النص:
أَحْضِرْ طَعَامَكَ وَابْذُلْهُ لِمَنْ أَكَلاَ
وَاحْلِفْ عَلَى مَنْ أَبى واشْكُرْ لِمَنْ فَعَلاَ

٢ ـ سامري العرض: المسامر الذي يتحدّث ليلاً للتسلية، ولا يكون لكلامه أي فعل.
محتشم: مستحيي وراعي ذمّة. في شعر: (شعر الفقهاء) ٣٣٦ ورد بهذا النص:
وَلاَ تَكُنْ سَامِرِيّ العَرْضِ مُحْتَشِماً مِنَ القَلِيلِ فَلَسْتَ الدَّهْرَ مُحْتَفِلا
[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٧. وفي كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٦، وفي كتاب: (الجرح والتعديل) ١٧٩/٢، وفي كتاب: (البداية والنهاية) الجزء ١٠ صفحة ١٧٧.

● قال عبد الله بن المبارك:

١ ـ دُنْيَا تَدَاوَلَهَا العِبَادُ ذَمِيمَةً
شِيبَتْ بِأَكْرَه مِنْ نَقِيعِ الحَنْظَلِ

٢ ـ وَبَنَاتُ دَهْرٍ لاَ تَزَالُ مُلِمَّةً
فِيهَا فَجَائِع مِثْلَ وَقْعِ الجَنْدَلِ

---

١ ـ تداولها: تناوب عليها. الذميمة: من الذمّ نقيض المدح، العيب. الحنظل: نبات عشبي بري حولي معترش من فصيلة القرعيات، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة، وكان ولا يزال يستعمل في الطب، ويزرع في الحدائق الطبيّة، الواحدة: حنظلة.

٢ ـ الملمة: النازلة الشديدة من شدائد الدهر، الجمع: ملمات. الفجائع: المفرد: الفجيعة أي: الرزيئة الموجعة. الجندل: الحجارة، والصخر، الواحدة: جندلة، الجمع: جنادل.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣١].

كفاك مكروه السؤال

● دخل أبو أُسامة على ابن المبارك، فوجد في وجهه عبد الله أثر الضُّرّ(*)، فلما خرج، بعث إليه أربعة آلاف درهم، وكتب إليه:

١ ـ وَفَتًى خَلاَ مِنْ مَالِهِ
وَمِنَ المُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِ

٢ ـ أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ
وَكَفَاكَ مَكْرُوه السُّؤَالِ

(*) الضُّرُّ: ضد النفع، وسوء الحال والفقر، والشدّة في البدن والمرض والهزال.

١ ـ خلا: فرغ. المروءة: آداب نفسية تحمل الإنسان على اتّباع محاسن الأخلاق. وجميل العادات، وهي أيضاً الإنسانية، وكمال الرجولية والعفّة.

٢ ـ كفاه: جعلها كافية له، أي قام بها دونه فأغناه عن القيام بها. مكروه السؤال: شر طلب الصدقة.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٠].

حفظ اللسان

● إن إباحة المرء للسانه أن يسترسل دونما ضابط محافظ سوف يهلكه، ولعل من الخير أن يهتم بأمره، فهو الذي يعكس ما يملكه من عقل وفكر، فلينظر إلى صور ما يعكسه لسانه من ذلك، وابن المبارك يقول:

١ ـ تَعَاهَدْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ
سَرِيعٌ إِلَى المَرْءِ فِي قَتْلِهِ

٢ ـ وَهَذا اللِّسَانُ يُرِيدُ الفُؤَادَ
يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

---

١ ـ تعاهد: تفقد واحفظ. ورد هذا البيت في كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩ بهذا النص:

احفَظْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ حَرِيصٌ عَلَى المرْءِ فِي قَتْلِهِ

٢ ـ أي أن الألسن لا تنطق إلاّ بما حوته العقول. ورد هذا البيت في كتاب (شعر الفقهاء) بهذا النّص:

وَإِن اللِّسَانَ يَرِيدُ الفُؤَادَ دَلِيل اللّسان على عقلهِ

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٥، وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩].

يا رب هب لي

● وذو العرش رحيم عليم، يؤتي من لَدُنْهُ الحِلْم ويؤيد بالتقوى، وفي هذا المعنى قال ابن المبارك:

١ ـ أَيَـا رَبّ هَـذَا الـعَـرْشِ أَنْـتَ رحِـيـمُ
وَأَنْـتَ بِـمَـا تُـخْـفِـي الـصـدُورُ عَـلِـيـمُ

٢ ـ فَيَا رَبّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْماً فَإِنَّني
أَرَى الـحِـلْـمَ لَـمْ يَـنْـدَمْ عَـلَـيْـهِ حَـلِـيـمُ

٣ ـ وَيَا رَبّ هَبْ لي مِنْكَ عَزْماً عَلَى التُّقَى
أُقِـيـمُ بِـهِ فـي الـنَّـاسِ حَـيْـثُ أُقِـيـمُ

---

١ ـ العرش: المُلك. قال تعالى في سورة طه الآية ٥: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

٢ ـ الحلم: العقل. والأناة والتسامح والصفح والستر وضبط الطبع عن هيجان الغضب، الجمع: أحلام.

٣ ـ العزم: الصبر والجد، والثبات والشدّة فيما يعزم الإنسان عليه، قال تعالى في سورة لقمان الآية ١٧: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠. وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

تقوى الله

● وكما وعظ ابن المبارك بالزهد ودعا إليه وعظ أيضاً بالاستزادة من خير ما يعتزُّ به الإنسان، وهو الحرص على التقوى، ما يصحبها من هجران للمعاصي، ومن تسامح في المعاملة، ومن مُسالمة ودَعة، فيقول:

١ ـ أَلاَ إنَّ تَـقْـوى الله أَكْـرمُ نِـسْـبَـة
يُـسَـامـي بِـهَـا عِـنْـدَ الـفـخَـارِ كَـرِيـمُ

٢ ـ إِذَا أَنْتَ نَافَسْتَ الرِّجَالَ عَلَى التُّقى
خَـرَجْـتَ مِـنَ الـدُّنْـيَـا وَأَنْـتَ سَـلـيـمُ

٣ ـ أَرَاكَ امـرَأً تَـرْجُـو مِـنَ الله عَـفْـوَهُ
وَأَنْـتَ عَـلَـى مَـا لاَ يُـحِـبّ مُـقِـيـمُ

---

١ ـ النسبة: القرابة. يسامي: مصدر: سما أي: علا وارتفع، والسمو: العلو والرفعة. الفخار: أي الفخر: التمدح بالخصال والتباهي بالمال والجاه ونحو ذلك.

٢ ـ نافست: تسابقت للوصول إلى الشيء والظفر به والتفوّق فيه وتباريت دون أن تلحق الضرر، والتنافس: نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التفوق. التقى: التقوى، وهي خشية الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتقيّ: الذي يلزم الطاعة، ولا يقع في المعصية، ويتقي الله ويخافه، الجمع: أتقياء، وهي: تقية.

٣ ـ العفو: المغفرة: وأنت على ما لا يحبّ مقيم: أي أنّك تفعل المعاصي.

٤ ـ وَإِنَّ امْـرَأً لاَ يَـرتَـجـي الـنَّـاسُ عَـفْـوَهُ

وَلَـمْ يَـأمَـنـوا مِـنْـهُ الأذَى لَـلَـئـيـمُ

---

٤ ـ يرتجي: يأمل. اللئيم. من شحّت نفس وساء أصله، واللؤم: أن يجتمع في الإنسان الشح ومهانة النفس دناءة الآباء.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٢٩، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) «المعهد» الجزء ٦].

انشقّ اسمه من جهنم

● قال العلاء بن الأسود: ذُكر جَهم عند ابن المبارك، فقال(*):

١ ـ عَجِبْتُ لِشَيْطَانٍ أَتَى النَّاسَ داعِياً
إِلى النَّارِ وَانْشَقَّ اسمُهُ مِنْ جَهَنَّمِ

(*) الجهم: هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، قال الذهبي: الضّال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين سنة ١٢٨هـ الموافق ٧٤٥م، وقد زرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: «لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت» وأمر بقتله، فقتل. (انظر: ميزان الاعتدال: ١/ ١٩٧، والكامل لابن الأثير: حوادث سنة ١٢٨هـ. ولسان الميزان: ٢/ ١٤٢، والحور العين: ٢٥٥، وخطط المقريزي: ٣٤٩ و٣٥١، والأعلام: ٢/ ١٤١).

١ ـ انشق: أي اشتق. جهنم: ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، ويقال: فارسي معرّب ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، من أسماء النار التي يعذّب الله بها في الآخرة من استحق العذاب من عباده.

[مصدر هذا البيت من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١١].

الجليس الصّالح

● ومما قاله ابن المبارك في مسعر بن كدام:

١ ـ مَنْ كَانَ مُلْتَمِساً جَلِيساً صَالِحاً
فَلْيَأْتِ حَلْقَةَ مِسْعَرِ بنِ كدامِ

٢ ـ فِيهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وأَهْلُها
أَهْلُ الْعَفَافِ وَعِلْيَةُ الأَقْوَامِ

---

١ ـ ملتمس: طالب، والالتماس: الطلب. الجليس الصالح: المجالس الجيد والنافع. الحلقة: مجلس العلم، الجمع: حَلَق، وحلقات، وحِلَق. مسعر بن كدام: بن ظهير الهلالي العامري الروّاسي، أبو سلمة، من ثقات أهل الحديث، كوفي، كان يقال له «المصحف» لعظم الثقة بما يريه، وكان مرجئاً، وعنده نحو ألف حديث، وخرج له الستة، توفي بمكة سنة ١٥٢هـ الموافق ٧٦٩م. (انظر: تهذيب التهذيب: ١٠/١١٣، وحلية الأولياء: ٧/٢٠٩، والكواكب الدُّرِّيَّة: ١٦٨. والأعلام: ٧/ ٢١٦).

٢ ـ السكينة: الهدوء والاطمئنان والخشوع. الوقار: الرزانة والحلم والسكينة والعظمة. العفاف: الامتناع عما لا يحل بدافع الطهر، وصون النفس عمّا لا يليق بمكارم الأخلاق، علية الأقوام: أرفعهم وأشرفهم.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٥، وكتاب: (تذكرة الحفاظ) الجزء ١ صفحة ١٨٩].

● وفي وصف هموم الحياة يقول ابن المبارك:

١ ـ هُمُومُكَ بالعَيْشِ مَقْرُونَةٌ
فَمَا تَقْطَعِ العَيْشَ إلاَّ بِهَمْ

٢ ـ إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ
تَرَقَّبْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمْ

٣ ـ إِذا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا
فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

٤ ـ وَحَامِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلٰهِ
فَإِنَّ الإِلٰهَ سَرِيعُ النِّقَمْ

---

١ ـ الهمّ: الحزن. مقرونة: مصحوبة ومجموعة.

٢ ـ الزوال: الهلاك والفناء، والتحوّل والانتقال.

٣ ـ النعمة: ما أُنْعِمَ به من رزق ومال، والحال الحسنة، والصنيعة والمنّة. ارعها: حافظ عليها وصُنها. وقد ورد هذا البيت في كتاب: (الحكم والأمثال في الشعر العربي) منسوباً إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

٤ ـ وحام: وحافظ. سريع النقم: سريع الانتقام. (كذلك ورد هذا البيت في كتاب: =

٥ ـ حَـلاَوَةُ دُنْـيَـاكَ مَـسْـمُـومَـةٌ
فَـمَـا تَـأْكُـلُ الـشَّـهْـدَ إلاَّ بِـسَـمْ

٦ ـ فَـكَـم قَـدَرٍ دَبَّ فـي مُـهْـلَـةٍ
فَـلَـمْ يَـعْـلَـمِ الـنَّـاسُ حَـتَّـى هَـجَـمْ

= (الحكم والأمثال في الشعر العربي) منسوباً إلى الإمام علي رضي الله عنه (صفحة ٥٢٠) بهذا النص:

وَحَافِظ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الإله فإنَّ الإلـهَ سَـرِيـع الـنـقـم

٥ ـ الشهد: العسل غير مفصول عن شمعه، القطعة منه: شَهدة، وشُهدة، الجمع: شِهاد، السُّمّ: كل مادة سامة مميتة.

٦ ـ القدر: وقت الشيء أو مكانه المقدّر له قال تعالى في سورة طه الآية ٤٠: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣١. وكتاب: (عبد اللّه بن المبارك) للمحتسب صفحة ١٦٨].

شروط الصحبة

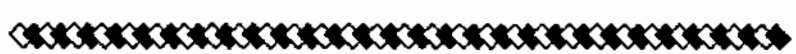

● كان عبد الله بن المبارك كثيراً ما يقول:

١ ـ وَإِذا صَحِبْتَ فَاصْحَبْ صَاحِباً
ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمْ

٢ ـ قَوْلُهُ لِلشَّيءِ: لاَ، إِنْ قُلْتَ: لاَ
وَإِذَا قُلْتَ: نَعَمْ، قَالَ: نَعَمْ

---

١ ـ الصاحب: المرافق والملازم والمعاشر لغيره. الحياء: الحشمة، وانقباض النفس عن القبائح والاستحياء. العفاف: الامتناع عمّا لا يليق ولا يحل بدافع الطهر، وصون النفس عمّا لا يليق بمكارم الأخلاق. الكرم: الجود، والصفح، ضد اللؤم.
[مصدر هذين البيتين من كتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥٨، وكتاب: (الجواهر المضيئة) الجزء ١ صفحة ٢٨١].

● من حُسن الخلق أن ينبذ المرء الإثم الذي يميت القلب، وإذا فعل ذلك حقاً كان سيداً حراً ليس تستعبده شهوة ولا يقهره هوى فيقول:

١ ـ رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ
وَيُورِثُكَ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

٢ ـ وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

---

١ ـ الذُّنوب: المفرد: الذنب أي: الإثم والجرم والمعصية. الذلّ: نقيض العزّ، الضعف المهانة. الإدمان: المواظبة على الشيء وعدم الإقلاع عنه.

٢ ـ العصيان: ترك الطاعة وعدم الانقياد. أي خير لنفسك أن تعصي ما تشتهي نفسك.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ٣٣٤، وكتاب: (مختصر جامع بيان العلم) صفحة ٨٥، وكتاب: (أعلام الموقعين) الجزء ١ صفحة ١١، وكتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٠].

● وفي الملوك يقول عبد الله بن المبارك:

١ ـ وهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلاَّ المُلُوكُ
وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُها

٢ ـ فَبَاعُوا النُّفُوسَ وَلَمْ يَرْبَحوا
ولَمْ تَغْلُ في البَيْعِ أثْمَانُها

---

١ ـ الأحبار: المفرد: حبر، أي العالم. الرهبان: المفرد: الراهب أي، المتعبد في صومعته يتخلّى عن أشغال الدنيا وملاذها، زاهداً فيها معتزلاً أهلها، والرهبانية: التعبّد في الصوامع، وفي الإسلام ربانية لا رهبانية.

٢ ـ باعوا النفوس: ضحّوا بكل ما هو ثمين. لم تغل في البيع أثمانها: لم يربحوا في هذا التعبّد، ذلك أن العبادة بين الخلق.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (الحكم والأمثال في الشعر العربي) صفحة ١٦٠].

● أهم ما لعبد الله بن المبارك هذه القصيدة وسبب تأليفها أنّ الناس حفروا حفيراً في خراسان، فوجدوا فيه رأس إنسان، فوزنوا سنّاً من أسنانه فإذا فيها سبعة أساتير، فاهتز ابن المبارك لهذه الواقعة، ومضى يتصوّر ضخامة السابقين، وعظمة المتقدمين، ويتذكر كيف طوتهم يد المنية وسرعان ما ذرفت عيناه بغزارة وقال(*):

١ ـ تَـذَكَّـرْتُ أَيّـامَ مَـا قَـدْ مَـضَـىٰ
فَـهَـاجَ لِـي الـدَّمْـعَ سَـحّـاً هَـتُـونـا

٢ ـ فَـرَدَّدْتُ فـي الـنَّـفْـسِ ذِكْـراهـمُ
لِـيُـحـدِثَ ذَلِـكَ لِـلـقَـلْـبِ لِـيـنـا

(*) الحفير: الحفرة. الأساتير: جمع إستار، وهو أربعة مثاقيل ونصف، والمثقال: درهم وثلاثة أسباع درهم، ووزن الدرهم ٣,١٢غ فالإستار الواحد ٢٠,٠٥غ أي وزن هذه السنّ يقارب ١٥٠غ. المنية: الموت.

١ ـ هاج: اضطرب وتحرّك. السّح: سحَّ الماء. مال من أعلى إلى أسفل، وكذا المطر والدمع. الهتون: الكثير القطر، يقال: عين هتون الدمع، الجمع: هُتُن، وهُتَّنٌ.

٢ ـ اللِّين: ضد الخشونة.

٣ ـ وَمَـا إنْ نَـزَال عَـلَـىٰ حَـادِثٍ
يَـطِـيـرُ لَـهُ الـقَـلْـبُ رَوْعـاً حَـزِيـنـا

٤ ـ وَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ وَفِـي مِـسْـيَـةٍ
تَـكـونُ الـنَّـوائِـبُ بِـالْـمَـوْتِ فِـيـنـا

٥ ـ وَإِمَّـا قَـرِيـبـاً تُـراش بِـهِ
وَإِمَّـا شَـمَـالاً وإِمَّـا يَـمِـيـنـا

٦ ـ إذا سَـكَـنَ الـرَّوْعُ عَـنْ مَـيِّـتٍ
بُـدِهْـنَـا بِـآخـر يَـنْـعَـىٰ الـسُّـكـونـا

---

٣ ـ الروع: الفزع والخوف والحرب. وفي هذه الأبيات ٣ ـ ٧ يستمر ابن المبارك في تفكيره بذلك الأثر العجيب، ويجعل منه عِبرة ناطقة باقية، وكأنما تخطر له حوادث أخرىٰ لا تقل عنه عظة ويتذكّر تلاحق النوائب وتتابع الوَفيات.

٤ ـ مسية: مساءً. النوائب: المفرد: النائبة أي النازلة والمصيبة. قال أبو فراس الحمداني:

وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ، أَو أَلَمَّت مُصيبةٌ جَعَلْتُ لهم نَفْسي وَمَا مَلَكَتْ يدى

٥ ـ تراش: راش الرجل: استغنى وجمع المال والمتاع، وارتاش فلان: حسنت حاله.

٦ ـ الروع: القلب، أو موضع الفزع منه، والذهن والعقل، بدهنا: مصدر بده أي فاجأ، وبده فلاناً بالأمر: بدأه به واستقبله به. والبداهة: ما يفجأ من الأمر. ينعى: يذيع خبر موته، والنعي: إذاعة خبر موت الميت، والناعي: الذي يأتي بخبر الميت.

٧ ـ وَكَيْفَ البَقَاءُ عَلَىٰ مَا أَرَىٰ
سَتُؤْتِينَ عَمَّا قَلِيلٍ يَقِينَا

٨ ـ دَفَنْتُ الأَحِبَّةَ لَمْ آلُهَا
أُهِيلَ عَلَيْهَا تُرَاباً وَطِينَا

٩ ـ وَكَانَتْ تَعِزُّ عَلَىٰ أَهْلِهَا
وَأَعْزز بِهَا اليَوْمَ أيضاً دَفِينَا

١٠ ـ لَقَدْ غَيَّبَ المَوْتَ فِي لَحْدِهِ
وَقَاراً نَبِيلاً وَبِرّاً وَدِينَا

---

٧ ـ اليقين: الاطمئنان، والعلم الذي لا شك معه، واليقين عند الفقهاء: الاعتقاد الجازم = العلم الذي لا شكّ فيه. ومنه الشهادة على اليقين. قال الله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٦ و٤٧: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾.

٨ ـ آلها: من وله أي: أتحير من شدة الوجد، فهو واله وولهان وهي والهٌ ووالهةٌ. وفي معنى هذه الأيات ٨ ـ ١٤: ها هم أولاء كرام أعزَّة يُوارون في مقابرهم، وفيهم من كان حبيباً إلى أهله، ولم يبرح من قلوبهم حتى بعد وفاته، وفيهم الوقور الشريف والتقي الصالح، وفيهم الأصحاب والأقارب.. كل أولئك غودروا، وآب أشياعهم وهم يتأوهون عليهم وفي أعينهم دموع آسية وفي قلوبهم لوعة دامية.

٩ ـ الدفين: المستور الذي واراه التراب.

١٠ ـ اللحد: القبر.

١١ ـ وَصَحْبِيَ وَالأَهْلُ فَارَقْتُهُم
وَلَيْتَ أَرَاهُم رِفَاقاً عِزِينَا

١٢ ـ كَأَنَّ نَادبَ أَهْلِيهِمُ
حَنِينَ عِشَارٍ تُحِبُّ الحَنِينَا

١٣ ـ وَإِخْوانِ صِدْقٍ لَحِقْنَا بِهِمْ
فَقَدْ كُنْتُ بِالقُرْبِ مِنْهُم ضَنِينَا

١٤ ـ وَأُوحِشَتِ الدَّارُ مَنْ بَعْدِهِم
أَظَلُّ عَلَى ذِكْرِهِمْ مُسْتَكِينَا

١٥ ـ وَإِنْ كُنْتِ بِالعَيْشِ مُغْتَرَّةً
تُمَنِّيكِ نَفْسُكِ فِيهَا الظُّنُونَا

---

١١ ـ العزين: الجماعات المتفرقين. قال تعالى في سورة المعارج الآية ٣٧: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

١٢ ـ العشار: الناقة التي ولدت حديثاً، وفقدت ولدها.

١٣ ـ الضنين: الشديد البخل، والمتمسّك بالشيء الحريص عليه، الجمع: أضناء، وهن ضنائن. والمضَنَّةُ والمضِنَّةُ: ما يضن به لأنه نفيس، والمضنون: كل ما يُضنُّ به من الأشياء.

١٤ ـ مستكين: الخاضع، والساكن، والذاكر لهم.

١٥ ـ مغترة: مصدر غرر أي خدع وأطمع بالباطل. قال امرؤ القيس (الديوان صفحة ٣٢):

أَغَرَّكِ مِني أَنَّ حُبَّكِ قاتِلي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَل =

١٦ ـ فَـنَـادي قـبـورك ثُـمَّ انْـظُـري
مَـصَـارِعَ أَهْـلِـك وَالأَقْـرَبِـيـنـا

١٧ ـ إِلَـىٰ أَيْـنَ صَـارُوا وَمَـاذَا لَـقُـوا
وَكَـانُـوا كَـمِـثْـلِـكِ فـي الـدَّور حِـيـنَـا؟

١٨ ـ وَأَيْـنَ الـمُـلُـوكُ وَأَهْـلُ الـحِـجَـا
وَمَـنْ كُـنْـت تَـرْضَـيْـن أَوْ تَـحْـذَرِيـنَـا؟

١٩ ـ وَأَيْـنَ الَّـذيـنَ بَـنَـوْا قَـبْـلَـنـا
قُـرُونـاً تَـتَـابَـعُ تَـتْـلُـو الـقُـرُونـا؟

٢٠ ـ أُتـيـتُ بـسـنَّـيْـن قـد رُمَّـتـا
مـنَ الـحِـصْـنِ لَـمَّـا أَثَـاروا الـدَّفـيـنـا

= وفي شرح هذه الأبيات ١٥ ـ ١٩: هكذا نَاموس الحياة يجري على أفواج البشر من دون أن يتأبى عليه منهم مليك ولا سُوقة، ولا يفلت منه قديم ولا أخير.

١٦ المصارع: المفرد: مصرع أي المكان الذي يصرع فيه الصريع، ومصارع القوم: الأماكن التي قتلوا فيها.

١٧ ـ الدَّور: عود الشيء إلى ما كان عليه.

١٨ ـ أهل الحجا: أهل الفطنة والعقل، والجمع: أحجاء، والأحجية: لغز يتبارى الناس في حلّه.

١٩ ـ القرون: جمع قرن، وهو مائة عام.

٢٠ ـ الرمّة: القطعة البالية. والرمّ: الثَّرىٰ.

٢١ ـ عَـلَـىٰ وَزْنِ مَـنَّـيْـن إِحْـدَاهُـمَـا
تُـقِـلُّ بِـهِ الـكَـفَّ شَـيْـئـاً رَزِيـنـا

٢٢ ـ ثَـلاثُـونَ أُخْـرىٰ عَـلَـىٰ قَـدْرِهَـا!
تَـبَـارَكْـتَ يَـا أَحْـسَـن الـخَـالِـقِـيـنـا

٢٣ ـ فَـمَـاذَا يَـقُـومُ لأَفْـوَاهِـهِـم
وَمَـا كَـانَ يَـمْـلأُ تِـلْـكَ الـبُـطُـونـا؟

٢٤ ـ وَكُـلٌّ عَـلَـىٰ ذَاكَ لاقَـىٰ الـرَّدَىٰ
فَـبَـادُوا جَـمِـيـعـاً فَـهُـمْ خَـامِـدُونـا

---

٢١ ـ المنّ = ١٣١١٤ حبة = ٢٥٧,١٤ درهماً = ٢٤ وقية = رطلان = ٨١٥,٣٩غ. الرزين: الثقيل.

٢٢ ـ ثلاثون أخرى: ثلاثون سناً أخرى في فم رأس الجمجمة التي شاهدها. تباركت يا أحسن الخالقينا: إشارة إلى الآية رقم ١٤ من سورة المؤمنون: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

٢٣ ـ تصاغرت: من صغر، والصغار: الذُّلُّ والضَّيم والهوان والضَّعة والاحتقار. قال الله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٢٤: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٢٤ ـ الردى: الهلاك. خامدون: الساكنون والساكتون. وفي معنى هذه الأبيات ٢٠ ـ ٢٥ يعود ابن المبارك إلى خبر الحفير وما أدهشه من أمر السنين الضخمين، ويتذكّر بقية الأسنان الثلاثين، ويتخيّل صورة صاحبها وعظم جسمه، ويتساءل: ماذا كان يكفي هؤلاء؟ وما كان يُشبعهم؟ إن النفس لتتضاءل أمامهم حقاً وتقلّ، كيف لا وقد أتى الموت على أولئك الجبابرة الأقوياء.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٢ ـ ٣٣٤، و(تاريخ ابن عساكر) «المعهد» الجزء ٦ والأبيات السبعة الأخيرة من كتاب: (بهجة المجالس) الجزء ٢ صفحة ١٥٥، رواها الحسيب بن واضح].

لا أرى حرمة يوماً لمبتدع

• استنكر ابن المبارك على المتعصبين من ذوي الصدور الضيقة والنظرات القريبة الذين يتشيّعون لعلي فيدفعهم تشيعهم إلىٰ كره ابن عفّان، وفي هذا يقول:

١ ـ مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ قَلْبِي مُشَايَعَةً
لِلْمُبْغِضِينَ عَلِيَّاً وابنَ عَفَّانَ

٢ ـ إِنِّي لَأَمْنَحُهُمْ بُغْضِي عَلاَنِيَةً
وَلَسْتُ أَكْتُمُهُمْ فِي الصَّدْرِ كِتْمَانَا

٣ ـ وَلاَ أَرَىٰ حُرْمَةً يَوْمَاً لِمُبْتَدِعٍ
وَهناً يَكُونُ إِذَنْ مِنِّي وَإِدْهَانَا

---

١ ـ مشايعة: التأييد والمتابعة والصحبة. المبغض: من: بغض أي: مقت. علي: هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٥١) ابن عفان: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، انظر ترجمته في القصيدة رقم (٥١).

٢ ـ العلانية: خلاف السِّرّ. الكتمان: إخفاء الشيء.

٣ ـ الحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو حق أو صحبة أو نحو ذلك. المبتدع: صاحب البدعة، والبدعة: ما استُحدث في الدِّين وغيره. الإدهان: مصدر: أدهن أي: صانع وألان وغش وأظهر خلاف ما أضمر.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٩٥، وكتاب: (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

لولا الأئمة لم تأمن لنا سُبُل

● روى إسحاق بن سُنين لابن المبارك:

١ ـ إنّي امرؤٌ لَيْسَ في دِيني لِغَامِزِهِ
لِيـنٌ وَلَسْتُ عَلَى الإسْلامِ طَعَّانا

٢ ـ فَلاَ أَسُبُّ أبا بَكْر وَلاَ عُمَراً
وَلَنْ أَسُبَّ مَعَاذَ الله عُثْمَانا

---

١ ـ لغامزه: مصدر غمز أي أشار بعينه أَو حاجبه أَو جفنه. اللِّين: ضد الخشونة، طعَّان: الكثير الطعن، ومنه الطعّان في أعراض الناس.

٢ ـ أَبو بكر: هو عبد اللّه بن أَبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأوّل من آمن برسول الله ﷺ من الرّجال، وأحد أعاظم العرب، وُلِد بمكة سنة ٥١ق.هـ الموافق ٥٧٣م ونشأ سيّداً من سادات العرب في قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقّبه بعالم قريش، حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوّة مواقف كبيرة، فشهد الحروب واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبيّ ﷺ سنة ١١هـ، فحارب المرتدّين والممتنعين عن دفع الزّكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، واتّفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أَبي سفيان، والمثنى بن حارثة، كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً، مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف توفي في المدينة سنة ١٣هـ الموافق ٦٣٤م. له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً. قيل: =

. . . . . .

= كان لقبه «الصدِّيق» في الجاهلية، وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء. (انظر: طبقات ابن سعد ٢٦/٩ ـ ٢٨، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم ٤٨٠٨، والكامل لابن الأثير: ١٦٠/٢، وتاريخ الطبري: ٢٦/٤، وصفة الصفوة: ٨٨/١، والإسلام والحضارة العربية: ١٠٧/٢ و٣٥١ وحلية الأولياء: ٩٣/٤، وتاريخ الخميس: ١٩٩/٢، والرياض النضرة: ٤٤ ـ ١٨٧، والأعلام: ١٠٢/٤).

عمر: هو عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأوّل من لُقِّبَ بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السِّفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره، وهو أحد العمرين اللّذين كان النبي ﷺ يدعو ربّه أن يعزّ الإسلام بأحدهما، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، و قال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز، بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣هـ بعهد منه، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة، حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرّخون بالوقائع، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا. وأول من دوّن الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب الأعطيات، وتوزيع المرتبات عليهم، وكان يطوف في الأسواق منفرداً، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وكتب إلى عمّاله، إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم، روى الزهري قال: كان عمر إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، يبتغي حدّة عقولهم. وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة، وكان لا يكاد يعرض له أمر إلاّ أنشد فيه بيت شعر، وكان أول ما فعله لما ولي أن ردّ سبايا أهل الردّة إلى عشائرهن وقال: كرهت أن يصير السبي سبة على العرب، وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها «الحمد لله» وفي بعضها «لا إله إلاّ الله وحده» وفي بعضها «الحمد لله»، لهُ في كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً، نقش على خاتمه: «كفى بالمرت واعظاً يا عمر» ولقبه رسول الله ﷺ =

. . . . . .

= بالفاروق، وكناه بأبي حفص، وكان يقضي على عهد رسول الله ﷺ، قالوا في صفته: كان أبيض عاجي اللون، طوالاً مشرفاً على الناس، كثّ اللحية، منحسر الشعر من جانبي الجبهة يصبغ لحيته بالحناء، قتله أبو لؤلؤة المجوسي فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة سنة ٢٣هـ الموافق ٦٤٤م، بخنجر في خاصرته في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال. (انظر: الكامل لابن الأثير: ٣/١٩، وتاريخ الطبري: ١/١٨٧ ـ ٢١٧، و٢/٢ ـ ٨٢، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم ٥٧٣٨، وصفة الصفوة: ١/١٠١، وحلية الأولياء: ١/ ٣٨، وتاريخ الخميس: ١/٢٥٩، ثم ٢/٢٣٩، وأخبار القضاة لوكيع: ١/١٠٥، والبدء والتاريخ: ٥/٨٨ و١٦٧، والكنى والأسماء: ١/٧، والإسلام والحضارة العربية ٢/١١١ و٣٦٤، والأعلام: ٥/٤٦).

عثمان: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية من قريش، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين، من كبار الرجال الذين اعتزّ بهم الإسلام في عهد ظهوره، وُلِد بمكة سنة ٤٧ق.هـ الموافق ٥٧٧م، وأسلم بعد البعثة بقليل، وكان غنياً شريفاً في الجاهلية، ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، فبذل ثلاث مئة بعير بأقتابها وأحلاسها، وتبرّع بألف دينار، صارت الخلافة إليه بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، ففتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. وأتم جمع القرآن، وكان أبو بكر قد جمعه وأبقى ما بأيدي الناس من الرقاع والقراطيس، فلما ولي عثمان طلب مصحف أبي بكر فأمر بالنسخ عنه وأحرق كل ما عداه، وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرَّسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالأذان الأول يوم الجمعة، واتخذ الشرطة، وأمر بكل أرض جلا أهلها عنها أن يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم. واتخذ داراً للقضاء بين الناس، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجلسان للقضاء في المسجد، روى عن النبي ﷺ ١٤٦ حديث، نقم عليه الناس لاختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والأعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، فطلبوا منه عزل أقاربه فامتنع، فحصروه في داره يراودونه على أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يوماً، وتسوَّر عليه بعضهم الجدار فقتلوه صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ—

٣ ـ وَلاَ ابـنَ عَـمِّ رَسُـولِ الله أَشْـتِـمَـهُ
حَـتَّـىٰ أُلَـبَّـمَ تَـحْـتَ الـتُّـرب أَكْـفَـانـا

= القرآن في بيته بالمدينة، ولقّب بذي النورين لأنه تزوج بنتي النبي ﷺ رقية ثم أم كلثوم. (انظر: الكامل لابن الأثير: حوادث سنة ٣٥، وغاية النهاية: ١/٥٠٧، وشرح نهج البلاغة: ٢/٦١، والبدء والتاريخ: ٥/٧٩ و١٩٤ ـ ٢٠٨، وحلية الأولياء: ١/٥٥، وتاريخ الطبري: ٥/١٤، وصفة الصفوة: ١/١١٢، والمحبر: ٣٧٧، وتاريخ الخميس: ٢/٢٥٤، والكنى والأسماء: ١/٨، والإسلام والحضارة العربية: ٢/١٣٨، والأعلام: ٤/٢١٠.

٣ ـ ابن عم رسول الله: هو الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد الأئمة العشرة المبشّرين، وابن عمّ النبي ﷺ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد السيّدة خديجة رضي الله عنها، وُلد بمكة سنة ٢٣ق.هـ الموافق ٦٠٠م وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وكان اللواء في يده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: أنت أخي، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٥هـ، فقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم، وتوقى عليّ الفتنة، فتريث، فغضبت السيدة عائشة رضي الله عنها وقام معها جمع كبير، في مقدمتهم طلحة والزُّبير، وقاتلوا علياً، فكانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ. وظفر علي بعد أن بلغت القتلى بين الفريقين عشرة آلاف. ثم كانت وقعة صفّين سنة ٣٧هـ. وخلاصة خبرها: أن الإمام علي عزل معاوية بن أبي سفيان سن ولاية الشام، يوم ولي الخلافة، فعصاه معاوية، فاقتتلا مئة وعشرة أيام، قتل فيها من الفريقين سبعون ألفاً، وانتهت بتحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص، فاتفقا سراً على خلع معاوية وعلي، وأعلن أبو موسى ذلك، وخالفه عمرو فأقر معاوية، فافترق المسلمون ثلاثة أقسام، الأول بايع لمعاوية وهم أهل الشام، والثاني حافظ على بيعته لعلي وهم أهل الكوفة، والثالث اعتزلهما ونقم على علي رضاه بالتحكيم، وكانت وقعة النهروان سنة ٣٨هـ بين علي وأباة التحكيم، وكانوا قد كفّروا علياً ودعوه إلى التوبة، واجتمعوا جمهرة، فقاتلهم، فقتلهم كلّهم وكانوا ألفاً وثمانمائة، فيهم جماعة من خيار الصحابة، وأقام علي بالكوفة (دار خلافته) إلى أن قتله عبد الرَّحمن بن ملجم المرادي غيلة =

٤ ـ وَلاَ الـزُّبَـيْـرَ حَـوَارِيَّ الـرَّسُـولِ وَلاَ
أُهْـدِي لِـطَـلْـحَـةَ شَـتْـمـاً عـزَّ أَوْ هَـانـا

= في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة واختلف في مكان قبره، روى عن النبي ﷺ ٦٥٨٦ حديثاً، ونقش على خاتمه «الله الملك» غالى الناس الجهلة به وهو حيّ، جيء بجماعة يقولون بتأليهه، فنهاهم وزجرهم وأنذرهم، فازدادوا إصراراً، فجعل لهم حفرة بين باب المسجد والقصر، وأوقد فيها النار وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا، فقذف بهم فيها، كان أسمر اللون، عظيم البطن والعينين، أقرب إلى القصر، أفطس الأنف، دقيق الذراعين، وكانت لحيته ملء ما بين منكبيه، وُلِد له ٢٨ ولداً منهم ١١ ذكراً و١٧ أنثى. انظر: الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٠، وتاريخ الطبري: ٦/٨٣، والبدء والتاريخ: ٥/٧٣، وصفة الصفوة: ١/١١٨، ومقاتل الطالبيين: ١٤، وحلية الأولياء: ١/٦١، وشرح نهج البلاغة: ٢/٥٧٩، وتاريخ الخميس: ٢/٢٧٦، والإسلام والحضارة العربية: ٢/١٤١، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم ٥٦٩٠، والرياض النضرة: ٢/٢١٨، والأعلام: ٤/٢٩٥ ـ ٢٩٦. لبّس: ليس عليه الأمر: خلطه وستر حقيقته، وأظهر خلافها. الأكفان: المفرد: الكفن: ثياب يُلَفُّ فيها الميت.

٤ ـ الزبير: هو الزُّبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله، الصحابي الشجاع، أحد المبشَّرين بالجنّة، وأول من سلَّ سيفه في الإسلام، وهو ابن عمة النبي ﷺ، أسلم وله ١٢ سنة، وشهد بدراً وأُحُداً وغيرها، وكان على بعض الكراديس في اليرموك. وشهد الجابية مع عمر بن الخطّاب، قالوا: كان في صدر ابن الزبير أمثال العيون من الطعن والرمي، وجعله عمر بن الخطّاب في من يصلح للخلافة بعده، وكان موسراً كثير المتاجر، خلف أملاكاً بيعت بنحو أربعين مليون درهم، وكان طويلاً جداً، إذا ركب تخط رجلاه الأرض، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل سنة ٣٦هـ الموافق ٦٥٦م، بوادي السباع على ٧ فراسخ من البصرة، وكان خفيف اللّحية أسمر اللون كثير الشعر، روى ٣٨ حديثاً. (انظر: تهذيب ابن عساكر: ٥/٣٥٥، وصفة الصفوة: ١/١٣٢، وحلية الأولياء: ١/٨٩، وذيل المذيل: ١١، وتاريخ الخميس: ١/١٧٢، والبدء والتاريخ: ٥/٨٣، والرياض النضرة: ٢٦٢ ـ ٢٨٠، وخزانة البغدادي: ٢/٤٦٨ ثم ٤/٣٥٠، والأعلام: ٣/٤٣م. الحواري: الخالص النقي من كل عيب ويقال: هو حواري فلان: أي ناصره وخاصته من =

٥ ـ وَلاَ أقولُ عَلِيٌّ في السَّحابِ إذاً
قَدْ قُلْتُ والله ظُلْماً ثُمَّ عُدْوَانا

= أصحابه، الجمع: حواريون. أخرج البخاري في الحديث رقم (٢٦١) في كتاب الجهاد، باب فضل الطليعة، وفي الأحاديث (٢٦٩٢) و(٢٨٣٥) و(٣٥١٤) و(٣٨٨٧) و(٦٨٣٣). وأخرج الترمذي عن جابر، وأخرج الحاكم في المستدرك عن الإمام علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكلّ نبيّ حوارياً وإنّ حواريّ الزبير» وصحّحه السيوطي في الجامع الصغير (ج١ ص٣٢٨ رقم ٢٤٣١).

طلحة: هو طلحة بن عبيد اللّه بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمّد، صحابي شجاع من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشّرين، وأحد الستّة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم، وكان يقال له ولأبي بكر القرينان وذلك لأن نوفل بن حارث وكان أشد قريش، رأى طلحة وقد أسلم خارجاً مع أبي بكر من عند النبي ﷺ فأمسكهما وشدّهما في حبل، ويقال له: «طلحة الجود»، و«طلحة الخير»، و«طلحة الفيّاض» وكل ذلك لقّبه به رسول الله ﷺ في مناسبات مختلفة، ودعاه مرة «الصبيح المليح الفصيح»، شهد أُحُداً وثبت مع رسول الله، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحاً، وسلم، وشهد الخندق وسائر المشاهد، وكانت له تجارة وافرة مع العراق، ولم يكن يدع أحداً من بني تميم عائلاً إلاّ كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه، قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ الموافق ٦٥٦م وهو بجانب السيدة عائشة ودفن بالبصرة، روى ٣٨ حديثاً. (انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ١٥٢، وتهذيب التهذيب: ٥/ ٢٠، والبدء والتاريخ: ٥/ ٨٢، والجمع بين رجال الصحيحين: ٢٣٠، وغاية النهاية: ١/ ٣٤٢، والرياض النضرة: ٢/ ٢٤٩ ـ ٢٦٢، وصفة الصفوة: ١/ ١٣٠، وحلية الأولياء: ١/ ٨٧، وذيل المذيل: ١١، وتهذيب ابن عساكر: ٧/ ٧١ والمحبر: ٣٥٥، ورغبة الأمل: ٣/ ١٦ و٨٩، واللباب: ٢/ ١٨٨ والأعلام: ٣/ ٢٢٩.

الشتم: السباب. عزّ: قوي، وبريء من الذل، فهو عزيز، وفي المثل: «مَنْ عَزَّ بَزَّ». هان: هوناً وهواناً ومهانة: ذَلّ وحقر، قال المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَان عَلَيْهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

٥ ـ أخرج الإمام الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال=

٦ ـ وَلاَ أقـولُ بِـقَـولِ الـجَـهْـمِ إنَّ لَـهُ
قَـوْلاً يُـضَـارِعُ أهْـلَ الـشِّـرْكِ أحـيـانـا

٧ ـ وَلاَ أقـولُ تَـخَـلَّـىٰ مِـنْ خَـلِـيـقَـتِـهِ
رَبُّ الـعِـبَـادِ وَوَلَّـىٰ الأمْـرَ شـيـطـانـا

٨ ـ مَـا قَـالَ فِـرْعَـوْنُ هَـذَا فـي تَـمَـرُّدِهِ
فِـرْعَـوْنُ مُـوسَـىٰ وَلاَ هَـامَـانُ طـغـيـانـا

= رسول الله ﷺ: «من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وحسّنه السيوطي في جامعه (ج٢ ص٥٢٥ رقم ٨٧٣٤).

٦ ـ الجهم: هو جهم بن صفوان السمرقندي وقد تم التعريف عنه في القصيدة رقم (٤٣)، والجهمية: نسبة إلى الجهم فرقة دينية آمنوا بالجبرية ونفوا الصفات. يضارع: يشابه، والمضارعة: المشابهة. أهل الشرك: الذين يقولون بتعدد الآلهة.

٧ ـ الخليقة: كل مخلوق من ناس وبهائم. الشيطان: روحٌ شريرٌ مُغو، والحية الخبيثة، وكل عات متمرد من الجن والإنس وشيطان الشاعر: ما يلهمه الشعر في معتقد الجاهليين، الجمع: شياطين.

٨ ـ فرعون: الفراعنة ثلاثة نفر: أولهم: سنان بن الأشل بن عُلوان بن العبيد بن عريج بن عمليق بن يلمع بن عابر بن إسليحا بن لوذ بن سام بن نوح، ويكنى: أبا العباس، وهو فرعون إبراهيم. والثاني: الريان بن الوليد بن ليث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع، وهو فرعون يوسف، والثالث: الوليد بن مصعب بن أبي أهون بن الهلواث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع، وهو فرعون موسى، قال: كان فرعون يوسف جد فرعون موسى واسمه برخوز (المحبر: لابن حبيب ٤٦٧). موسى: عليه السّلام، أشهر رجال التوراة، ومن أكبر مشترعي البشرية، وُلِد في مصر وأنقذته ابنة فرعون من المياه، فتربى في قصر أبيها. بدأ رسالته في سن الأربعين، ورد ذكره في القرآن الكريم في ١٣٦ موضعاً. تمرّد: جاوز حد أمثاله ولم يقبل موعظة، وتمرد على الناس: عتا عليهم واستكبر. هامان: =

٩ ـ اللهُ يَدْفَعُ بالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً
عَنْ دِيننا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانا

١٠ ـ لولا الأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنا سُبُلٌ
وَكَانَ أَضْعَفُنَا نَهْباً لِأَقْوَانا

= وزير فرعون، ورد ذكره في القرآن الكريم بمخاطبة فرعون له ليبني له صرحاً يصعد فيه إلى إله موسى. قال الله تعالى في سورة غافر الآية ٣٦: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾. الطغيان: مجاوزة الحدّ في الظُّلم أو الكفر أو في اندفاق الماء.

٩ ـ المُعضلة: المسألة المشكلة التي لا يُهتدى لوجهها، والمعضلات: الشدائد. الرضوان: الرضا.

١٠ ـ السُّبل: المفرد: السبيل أي: الطريق (يذكّر ويؤنّث). كان أضعفنا نهباً لأقوانا: أي أن القوي ينهب ويأكل ويقتل ويسلب الضعيف كما كانت هي الحال في الحياة الجاهلية، قبل مجيء سيد البشر النبي الأعظم الذي هذّب النفوس، وأدّبها وجمّلها، وجعلها متفانية في حب البعض والإيثار شعارها.

يقال: إن هارون الرشيد عندما سمع هذا الشعر أعجبه، فلما بلغه موت عبد الله بن المبارك بهت، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فنادى الفضل بن الربيع وقال له: يا فضل: إيذن للناس يُعزُّونا في ابن المبارك، أما هو القائل:

الله يَدفَعُ بالسُّلْطانِ مَعْضِلَة عَنْ ديننا رَحْمَةً مِنْهُ ورضوَانا

فمن الذي يسمع هذا من ابن المبارك، ولا يعرف حقَّنا؟

وقد ورد البيت رقم ٩ والبيت رقم ١٠ في حلية الأولياء: الجزء ٨ صفحة ١٦٤. وفي شعر الفقهاء صفحة ١٨٩، وبهجة المجالس الجزء ١ صفحة ٣٣٢. كما ورد البيت العاشر في كتاب ترتيب المدارك صفحة ٣٠٥ بهذا النص:

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

[مصدر هذه القصيدة من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٣ و٤١٤].

● كان ابن المبارك إذا خرج من مكة المكرّمة يقول(*):

١ ـ بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي
وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنا

٢ ـ إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ
مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلاَ وَاللَّهِ مَا اتَّزَنا

(*) مكّة: سبق التعريف عنها في الفصل ٣ في القصة رقم ٩ (البيت العتيق).

١ ـ البغض: الكره، نقيض الحب، وبُغض الشيء: صار ممقوتاً ومكروهاً، والبغضاء: شدة البغض والكراهية.

٢ ـ وزنت: رجحت. يعدل: يوازي، والعِدْلُ: المثل والنظير، وعدل الشيء: أقامه وسوّاه. وعدل الشيء بالشيء: سوّاه به وجعله مثله قائماً مقامه وهذا ما عناه ابن المبارك.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (تاريخ بغداد) الجزء ١٠ صفحة ١٦٦. وكتاب (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٣٩٤، وكتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥٩].

● يستفيض الحديث عن الموت، منتهى الحياة، فهؤلاء فريق يئنون فيحزن لهلاكهم أحبتهم، ثم لا يلبث الآخرون حتى يسلكوا الطّريق نفسها، أفلا انتبهوا إلى أنهم وإياهم في سياق واحد؟ وعلام لا تستيقظ النفس من غفوتها، وتبصر نهايتها والمورد واحد، وكل الناس وارده. قال ابن المبارك(*):

١ ـ أَرَى النَّاسَ يَبْكُونَ مَوْتَاهُمُ
وَمَا الحَيُّ أَبْقَى مِنَ المَيِّتِينَا

٢ ـ أَلَيْسَ مَصِيرُهُمُ لِلْفَنَا
وَإِنْ عَمَّرَ القَوْمُ أَيْضاً سِنِينَا

(*) هذه المقالة إشارة إلى الآية الكريمة رقم ١٨٥ من سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

١ ـ المرجع السابق.

٢ ـ الفنا: حذفت الهمزة لضرورة الشعر أي الفناء: ضد البقاء. عمَّر: عاش طويلاً.

٣ ـ يُسَاقُونَ سَوْقاً إِلَى يَوْمِهِم
فَهُمْ فِي السِّيَاقِ وَمَا يَشْعُرونا

٤ ـ فَإِنْ كُنْتِ تَبْكِينَ مَنْ قَدْ مَضَى
فَبَكِي لِنَفْسِكِ فِي الهَالِكِينا

٥ ـ فَإِنَّ السَّبِيلَ لَكُمْ وَاحِدٌ
سَيَتَّبِعُ الآخِرُ الأَوَّلِينا

---

٣ ـ يساقون: يشرعون في نزوع الروح. السِّياق: نزع الرُّوح، يقال: هو في السياق أي: في الاحتضار.

٤ ـ الهالكون: الموتى.

٥ ـ السبيل: الطريق (يذكّر ويؤنّث) وما وضح منه، والسبب والوصلة، الجمع: سبل.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٥. وكتاب (تاريخ ابن عساكر) الجزء ٦].

استغن بالله

● قال عبد الله بن مبارك رحمه الله في ذمّ الملوك:

١ ـ أَرَى أُنَاساً بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا
وَلاَ أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ

٢ ـ فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ دُنْيَا المُلُوكِ كَمَا
اسْتَغْنَى المُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

---

١ ـ قنعوا: رضوا بما أعطوا، أو باليسير الذي يَسُدُّ حاجتهم، فهم قُنَّعٌ. الدون: الأقل.

٢ ـ أي لا تأخذ الهبات من الأمراء والملوك.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (ترتيب المدارك) صفحة ٣٠٥].

يا جاعل العلم له بازيا

● قال أحمد بن جميل المروزي: قيل لابن المبارك: إن إسماعيل بن عُلَيّة، قد ولي القضاء، فكتب إليه:

١ ـ يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِياً ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَسَاكِينِ

٢ ـ احْتَلْتَ للدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ

٣ ـ فَصِرْتَ مَجْنُوناً بِها بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ

٤ ـ أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِي سَرْدِهَا ... عَنِ ابنِ عَوْنٍ وابْنِ سِيرِينِ

---

١ ـ جاعل: اسم فاعل من جعل أي: صنع وفعل. البازي: من جوارح الطير يستخدم في الصيد، الجمع: بزاةٌ، وبَوازٍ.

٢ ـ احتلت: خدعت، والحيلة: الحِذْقُ وجودة النظر، والخديعة، والحُوَّلُ: المحتال الشديد الاحتيال والبصير بتحويل الأمور. الدنيا: الحياة الحاضرة التي تقابل الآخرة، الجمع: دُنا. والنسبة إليها: دنيوي. لذاتها: المفرد: لذة أي: نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة أو الرغبة.

٣ ـ المجنون: الذاهب العقل أو فاسده، الجمع: مجانين. الدواء. من داوى مداواة ودِواء. وهو ما يتعاطاه المرء لشفاء المرض بإذن الله تعالى. (معجم لغة الفقهاء) صفحة ٢١١.

٤ ـ رواياتك: المفرد: الرواية، القصة الطويلة. سرد الحديث أو القراءة: تابعهما وأجاد سياقهما. ابن عون: هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، أبو عون البصري، كان جده أطربان مولى لعبد الله بن مغفل المزني، (انظر: طبقات ابن سعد: =

٥ ـ أَيـن روَايَـاتُـكَ فـيـمَـا مَـضَـى فـي تَـرْكِ أَبْـوَابِ الـسَّـلاَطِـيـنِ

٦ ـ إِنْ قُـلْـتَ أُكْـرِهْـتُ فَـمَـا ذَا كَـذَا زَلَّ حِـمَـارُ الْـعِـلْـمِ فـي الـطِّـيـنِ

= ٧/ ٢٦١، وتاريخ البخاري الكبير الترجمة. والجرح والتعديل ٥/ ٦٠٥. والكامل في التاريخ: ٢/ ٤٨٨، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٤٦. ابن سيرين: هو محمّد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي ومن أشراف الكتّاب، وُلِد في البصرة سنة ٣٣هـ الموافق ٦٥٣. نشأ بزازاً، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، وكان أبوه مولى لأنس، له كتاب: تعبير الرؤيا وكتاب: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، توفي سنة ١١٠هـ الموافق ٧٢٩م. (انظر: تهذيب التهذيب: ٩/ ٩١٤، والمحبر: ٣٧٩ و٤٨٠، ووفيات الأعيان: ١/ ٤٥٣، وحلية الأولياء: ٢/ ٢٦٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وتاريخ بغداد: ٥/ ٣٣١، ودائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٢٠٢، والوافي بالوفيات: ٣/ ١٤٦، ومعجم ما استعجم: ١/ ٣١٩. ومعجم البلدان: ٦/ ٢٥٣، والأعلام: ٦/ ١٥٤).

٥ ـ السلاطين: المفرد: سلطان: الوالي أو الملك. (والنون في سلطان زائدة) وقد عنى ابن المبارك هنا: متى كنت تقف على أبواب الملوك؟

٦ ـ أكرهت: أُجبرت أو أُرغمت. فما ذا كذا: ليس هذا ما تقول. زلّ: زلق، وانحرف عن الصواب، وأخطأ، والزلل: ارتكاب الذنوب، والزَّلّة: السقطة والخطيئة. وأزله: أزلقه، وحمله على ارتكاب الذنب أو الخطيئة، واستزلّه: أزله، واستدرجه إلى الزلل، قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١٥٥: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١١ ـ ٤١٢. ومن كتاب: (صفة الصفوة) الجزء ٤ صفحة ١٤٠. وكتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥١].

أصحاب الحوانيت

● يقول عبد الله بن المبارك في ذمّ الّذين يؤثرون الدنيا على الآخرة. فيقول:

١ ـ قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتاً لِمَتْجَرِهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الحَانُوتَ بالدِّينِ

٢ ـ بَيْنَ الأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلاَ غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالدِّينِ أَمْوَالَ المَسَاكِينِ

٣ ـ صَيَّرْتَ دِينَكَ شَاهيناً تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ

---

١ ـ الحانوت: الدكّان، ومحل التجارة، الجمع: حوانيت.

٢ ـ الأساطين: أساطين العلم والأدب: الثقات المبرّزون فيه، وحكماؤه وأفراده، والكلمة معربة عن الفارسية. الغلق: ما يُغلق به الباب يفتح بالمفتاح، والباب العظيم.

٣ ـ صيرت: جعلت. الشاهين: كلمة معرّبة، من جوارح الطير، من جنس الصقر، تصيد به الأعراب بأن ترسله على الطير، فيضربها بجناحيه ويرميها أرضاً، وأحياناً يرسل على بعض الحيوانات الأليفة كالأرانب فيصطادها.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ٣٣٥ ـ ٣٣٦. وكتاب: (التاج المكلل) صفحة ٥٧].

خفي حنين

● قال ابن المبارك:

١ ـ إِنْ تَلَبَّسْتَ عَنْ سُؤَالِكَ عَبْدَ اللَّهِ
تَرْجِعْ غَداً بِخُفَّيْ حُنَيْنِ

٢ ـ فَاعْنِتِ الشَّيْخَ بِالسُّؤَالِ تَجِدْهُ
سَلِساً يَلْتَقِيكَ بِالرَّاحَتَيْنِ

---

١ ـ تلبست: اختلط الأمر عليك. خفي حنين: قال أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال الجزء ١ صفحة ٢٩٦: قال أبو عبيد: أصله أن حنيناً كان إسكافاً من أهل الحيرة، فساومه أعرابي بخُفَّين، فاختلفا حتى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخفَّ بخف حنين، ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأولَ، وقد كمن له حنينٌ، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنينٌ إلى راحلته وما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلاَّ الخُفَّانِ، فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: جئتكم بِخُفَّي حُنَين، فذهبت مثلاً. ويضرب هذا المثل عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

٢ ـ اعنت: مصدر: عنت: شَدَّد عليه وألزمه بما يصب عليه أداؤه. السلس: السهولة والانقياد. الراحتان: مثنى: الراحة أي: الكف مع الأصابع، أي يلتقيك فرحاً مسروراً.

[مصدر هذين البيتين من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٣٢].

● قال أبو أمية الأسود: سمعت ابن المبارك يقول: أُحب الصّالحين، ولستُ منهم، وأبغضُ الطالحين، وأنا شَرٌّ منهم، ثم أنشأ يقول:

١ ـ الصَّمْتُ أَزْيَنُ بِالْفَتَىٰ
مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ

٢ ـ وَالصِّدْقُ أَجْمَلُ بِالْفَتَىٰ
فِي الْقَوْلِ عِنْدِي مِنْ يَمِينِهِ

٣ ـ وَعَلَىٰ الْفَتَىٰ بِوَقَارِهِ
سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَىٰ جَبِينِهِ

---

١ ـ الصمت: السكوت، وعدم النطق. أزين: أحسن وأفضل. المنطق: الكلام. قال الله تعالى في سورة النمل الآية ١٦: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾.

٢ ـ الصدق: قول الحق ونقيض الكذب. روى ابن النجار عن الفضل، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصدق بعدي مع عمر حيث كان» انظر: الجامع الصغير للسيوطي الحديث رقم (٥١٤١).

وقال الواسطي في الصدق:

الصدقُ يعقدُ فوقَ رأس ... من حليفه بالصدقِ تاجا
والصدقُ يقدح زنده ... في كلِّ ناحيةٍ سراجا

٣ ـ الوقار: الرزانة. السّمة: العلامة والبينة.

٤ ـ فَمَنِ الَّذِي يَخْفَىٰ عَلَيْـ
ـكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ قَرِينِهِ

٥ ـ رُبَّ امْرِىءٍ مُتَيَقِّنٍ
غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَىٰ يَقِينِهِ

٦ ـ فَأَزَالَهُ عَنْ رَأْيِهِ
فَابْتَاعَ دُنْيَاهُ بِدِينِهِ

---

٤ ـ القرين: المصاحب، والمقارن.

٥ ـ المتيقن: المثبت والمتحقق والواضح. واليقين: العلم الحاصل عن نظر واستدلال. وعلم يقين: ليس فيه شك، وفي الفلسفة: اطمئنان النفس إلى حكم مع الاعتقاد بصحته، يقال: أنا على يقين من الأمر أي: عالم به حق العلم.

٦ ـ أزاله: حوّله ونقله.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (سير أعلام النبلاء) الجزء ٨ صفحة ٤١٨. وكتاب (حلية الأولياء) الجزء ٨ صفحة ١٧٠، وكتاب: (الزهد والرقائق) صفحة ٥٨].

أبو حنيفة إمام المسلمين

● مدح ابن المبارك الإمام أبو حنيفة وأشاد بدقة قياسه، وغزارة اطّلاعه، وتمكّنه أن يسد الفجوة المتسعة التي تركها موت شيخه حماد بن أبي سليمان، فيقول:

١ ـ لَقَدْ زَانَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا عَلَيْهَا
إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَهْ

---

١ ـ أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت التميمي بالولاء، الكوفي إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقّق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنّة، قيل: أصله من أبناء فارس، وُلِد في الكوفة سنة ٨٠هـ الموافق ٦٩٩م ونشأ بها، وكان يبيع الخزّ، ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعاً، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنّه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات سنة ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م. قال ابن خلكان: كان قوي الحجّة، من أحسن الناس منطقاً، قال الإمام مالك يصفه: رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وكان كريماً في أخلاقه، جواداً، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدَّث انطلق في القول وكان لكلامه دوي، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. (انظر: تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٢٣ ـ ٤٢٣، والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٢، والبداية والنهاية: ١٠/ ١٠٧، والجواهر المضية: ١/ ٢٦، ونزهة الجليس: ٢/ ١٧٦، وذيل المذيل: ١٠٢، وتاريخ الخميس: ٢/ ٣٢٦، والذريعة: ١/ ٣١٦، والانتقاء لابن عبد البر: ١٢٢ ـ ١٧١، ومفتاح السعادة: ٢/ ٦٣ ـ ٨٣، ومطالع البدور: ١/ ١٥، ودائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢، ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٢، والأعلام: ٨/ ٣٦).

٢ ـ بِـآثَـارِ وَفِـقْـهٍ فِـي حَـدِيـثٍ
كَـآيَـاتِ الـزَّبُـورِ عَـلَـى الـصَّـحِـيـفَـهْ

٣ ـ فَـمَـا فِـي الـمَـشْـرِقَـيْـنِ لَـهُ نَـظِـيـرٌ
وَلاَ بِـالْـمَـغْـرِبَـيْـنِ وَلاَ بِـكُـوفَـهْ

٤ ـ رَأَيْـتُ الـعَـائِـبِـيـنَ لَـهُ سـفَـاهـاً
خِـلاَفَ الـحَـقِّ مَـعْ حـجَـجٍ ضَـعِـيـفَـهْ

تَمَّ الكِتَابُ والحمدُ لله رَبِّ العَالمين

---

٢ ـ الآثار: المفرد: أثر أي: ما خلفه السابقون. الزَّبور: الكتاب، الجمع زُبُرٌ، وغلب على صحف النبي داود عليه السَّلام. الصحيفة: ما يكتب فيه من ورق ونحوه.

٣ ـ المشرقان: المشرق والمغرب. نظير: المثل والمساوي. المغربان: المغرب المشرق. الكوفة: مدينة بالعراق على ساعد الفرات، أسّسها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية قرب الحيرة سنة ٦٣٨م واتخذها الإمام علي مقراً له سنة ٦٥٧م وفيا قتل سنة ٦٦١م جعلها العباسيّون عصامة سنة ٧٤٩م، وتقلص ظلّها بعد تأسيس بغداد.

٤ ـ العائبون: الذامّون. السفاه: الجهالة. والسفيه: الجاهل، الجمع: سفهاء، وسُفَّهٌ.

[مصدر هذه الأبيات من كتاب: (شعر الفقهاء) صفحة ١٠٥ ـ ١٠٦ وكتاب (الفهرست) صفة الصفوة ٢٨٤، وكتاب: (عيون التواريخ) حوادث سنة ١٥٠].

الفهارس

١ ـ فهرس أوائل الآيات القرآنية الكريمة

٢ ـ فهرس أوائل الأحاديث النبوية الشريفة

٣ ـ المصادر والمراجع

٤ ـ الفهرس العام

١ ــ فهرس أوائل الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقم الآية	السورة	رقم السورة	الصفحة
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١١٧	البقرة	٢	١٦٣
﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	١٥٨	البقرة	٢	٦٣
﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٨٤	البقرة	٢	٦٣
﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾	١٨٧	البقرة	٢	٦٢
﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾	١٩٧	البقرة	٢	٦٣
﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	٢٦٩	البقرة	٢	٦٥
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾	٩٦	آل عمران	٣	٨١
﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	١٤١	آل عمران	٣	١٦٩
﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	١٥٥	آل عمران	٣	٢٠٧
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٦٩	آل عمران	٣	١٢٢
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا﴾	١٨٥	آل عمران	٣	٢٠٣

الآية	رقم الآية	السورة	رقم السورة	الصفحة
﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	٦٩	النساء	٤	٥
﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥	النساء	٤	٥٩
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	النساء	٤	٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟﴾	١٠١	المائدة	٥	٦٦
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾	١١٤	الأنعام	٦	١٢٩
﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾	١٢٤	الأنعام	٦	١٩٢
﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾	١٨٦	الأعراف	٧	٦١
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾	٣٤	التوبة	٩	١٢٦
﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	٤٦	هود	١١	
﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾	١٨	يوسف	١٢	١٢٤
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾	٩٢	يوسف	١٢	٦٣
﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	١٦	النحل	١٦	٦٦
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	١	الإسراء	١٧	٦٦
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾	٣٦	الإسراء	١٧	٦٣
﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾	٧١	الإسراء	١٧	١٦٥
﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾	١٩	الكهف	١٨	٦٧
﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٤٦	الكهف	١٨	٦٦
﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾	١٠	مريم	١٩	٦٢
﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾	١٢	مريم	١٩	٦٦

الآية	رقم الآية	السورة	رقم السورة	الصفحة
﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾	٥	طه	٢٠	١٧٧
﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾	٤٠	طه	٢٠	١٨٣
﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	٣٥	الأنبياء	٢١	١٥٩
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾	٧٩	الأنبياء	٢١	٦٤
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾	٢٢	الحج	٢٢	١٤٥
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	١٤	المؤمنون	٢٣	١٩٢
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾	٣٠	النور	٢٤	٦٤
﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾	٧٩	الشعراء	٢٦	٥٦
﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾	١٦	النمل	٢٧	١٩٦
﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾	١٧	لقمان	٣١	١٧٧
﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾	١٩	لقمان	٣١	٦٥
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي﴾	٣٧	سبأ	٣٤	١٢٩
﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾	٥٨	يس	٣٦	٦١
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي﴾	٣٦	غافر	٤٠	٢٠١
﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	٧	الشورى	٤٢	١٤٨
﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾	٤٧	الشورى	٤٢	١٤٣
﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا﴾	١٣	الزخرف	٤٣	٦٥
﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾	١٥	محمد	٤٧	١٦٤

الآية	رقم الآية	السورة	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾	١٢	الحجرات	٤٩	١٢٥
﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	ق	٥٠	٦٣
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾	٥٥	القمر	٥٤	١٥١
﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾	٤	الجمعة	٦٢	٦٧
﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ﴾	٢٢	الملك	٦٧	١٥٨
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾	٢٤	الحاقة	٦٩	٦٧
﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾	٣٧	المعارج	٧٠	١٩٠
﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾	٢٠	المزمل	٧٣	٦٥
﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾	٤٦	المدثر	٧٤	١٨٩
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾	١٠	الإنسان	٧٦	١٥٢
﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ﴾	١٣	الإنسان	٧٦	١٥٢
﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾	١٨	الانشقاق	٨٤	١٥٦
﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾	٨	العلق	٩٦	١٦٥

٢ ـ فهرس أوائل الأحاديث النبوية الشريفة

تسلسل	الحديث	الصفحة
١	«إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين».	٧٤
٢	«إنّ لكلّ نبيّ حواري وإنّ حواري الزبير».	١٩٩
٣	«إنّها لمباركة وهي طعام طعم وشفاء سقم».	٨٥
٤	«إنّها مباركة وإنّها طعام طعم».	٨٥
٥	«بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».	١٦٦
٦	«الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع العبد المملوك».	١٠
٧	«الشّيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة..».	١٢٣
٨	«الصدق بعدي مع عمر حيث كان».	٢١٠
٩	«لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنّم».	١٢١
١٠	«ماء زمزم لما شرب له».	٨٥

تسلسل	الحديث	الصفحة
١١	«من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».	١٣٥
١٢	«من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»	١٠٦
١٣	«من رآني في المنام فقدرآني فإن الشيطان لا يتمثل بي».	١٠٦
١٤	«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين».	١٣٥

٣ ـ المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ **أخبار القضاة:** وكيع محمّد بن خلف بن حبان ـ ١٩٨٠ ـ عالم الكتب ـ بيروت.

٣ ـ **أدب الدنيا والدين:** أبو الحسن علي البصري الماوردي ـ تحقيق الدكتور محمّد صباح ـ ١٩٨٧ ـ دار الحياة ـ بيروت.

٤ ـ **أربع وعشرون ساعة مع الحبيب المصطفى:** محمّد عبد الرحيم ـ تقديم الأستاذ محمّد حبش ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ ـ دار الحكمة ـ دمشق.

٥ ـ **أطفال نجباء في ظل الإسلام:** محمّد عبد الرحيم ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. دار اليمامة ـ دمشق.

٦ ـ **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ١ ـ ٨: خير الدين الزركلي ـ الطبعة السادسة ١٩٨٤ ـ دار العلم للملايين.

٧ ـ **أعلام الموقعين** ١ ـ ٥: ابن قيم الجوزية ـ دار الجيل ـ بيروت.

٨ ـ **البداية والنهاية** ١ ـ ١٤: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير ـ الطبعة السابعة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ دار المعارف ـ بيروت.

٩ ـ **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ١ ـ ٣:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النمري القرطبي ـ تحقيق محمّد مرسي الخولي ـ ١٩٨١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠ ـ **تاج العروس في شرح جواهر القاموس ١ ـ ١٠:** أبو الفيض محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق المعروف بالسيد مرتضى الزبيدي ـ ١٣١٦هـ ـ المطبعة الخيرية ـ القاهرة.

١١ ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السّلام ١ ـ ١٤:** للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٢ ـ **التاريخ الكبير:** الحافظ النقّاد شيخ الإسلام، جبل الحفظ وإمام الدنيا أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري. المكتبة الإسلامية ـ محمّد ازدمير ـ ديار بكر ـ تركيا.

١٣ ـ **التبر المسبوك في نصيحة الملوك:** محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي ـ القاهرة.

١٤ ـ **تذكرة الحفّاظ:** أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٩٥٨م.

١٥ ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ١ ـ ٤:** القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ـ تحقيق الدكتور أحمد بكير محمّد ـ دار الحياة ـ بيروت ـ ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧م.

١٦ ـ **تفسير ابن كثير ١ ـ ٧:** الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي العذار إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

١٧ ـ **تهذيب تاريخ ابن عساكر ١ ـ ١٢**: عبد القادر بن أَحمد بن بدران ـ دمشق ـ ١٣٤٩هـ.

١٨ ـ **تهذيب التهذيب**: الإمام الحافظ الحجّة شيخ الإسلام شهاب الدين أَبي الفضل أَحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية.

١٩ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١ ـ ١٢**: الحافظ المتقن جمال الدين أَبي الحجاج يوسف المزّي ـ تحقيق وضبط الدكتور بشار عواد معروف ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ مؤسّسة الرسالة ـ بيروت.

٢٠ ـ **ثمرات الأوراق في المحاضرات**: الإمام تقي الدين أبي بكر علي بن محمّد بن حجة الحموي القادري الحنفي ـ قدّم له وشرحه الدكتور مفيد قميحة ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢١ ـ **الجامع الصغير من حديث البشير النذير ١ ـ ٢**: لخاتمة الحفّاظ جلال الدين عبد الرّحمن بن أَبي بكر السيوطي ـ حقّقه وضبط غريبه محمّد محيي الدين عبد الحميد ـ دار خدمات القرآن ـ دمشق.

٢٢ ـ **الجرح والتعديل ١ ـ ٤**: الإمام الحافظ شيخ الإِسلام أَبي محمّد عبد الرّحمن بن أَبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرّازي ـ الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند.

٢٣ ـ **الجهاد**: الإمام الحافظ المجاهد عبد اللّه بن المبارك ـ تحقيق نزيه حماد ـ ١٩٧١م ـ ١٣٩١هـ ـ دار النور ـ بيروت.

٢٤ ـ **حدائق المتّقين:** عبد الغني النكه مي ـ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ـ دار الكتاب النفيس ـ حلب.

٢٥ ـ **الحكم والأمثال في الشعر العربي:** أحمد قبش ـ دمشق.

٢٦ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ١ ـ ١٠: الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ـ دار الفكر ـ طبعة مصوّرة عن المكتبة السلفية.

٢٧ ـ **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء:** أبو محمّد عبد الله بن محمّد الزوزني بغداد ـ وزارة الثقافة والفنون.

٢٨ ـ **ديوان النابغة الذبياني:** كرم البستاني ـ دار صادر ـ بيروت.

٢٩ ـ **ديوان الإمام الشافعي:** أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي ـ جمع وتعليق سليمان البواب ـ دار الحكمة ـ دمشق.

٣٠ ـ **الزهد والرقائق:** شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك ـ حقّقه وعلّق عليه الأستاذ المحدّث المحقّق الشيخ عبد الرّحمن الأعظمي ـ نشر محمّد عفيف الزعبي ـ بيروت.

٣١ ـ **سمير المؤمنين:** محمّد الحجّار ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ ـ دار الكتاب النفيس ـ حلب.

٣٢ ـ **سير أعلام النبلاء** ١ ـ ٢٥: تصنيف الإمام شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ مؤسّسة الرسالة ـ بيروت.

٣٣ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ١ ـ ٤: المؤرّخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ دار الفكر ـ بيروت.

٣٤ ـ **شرح ديوان امرىء القيس:** محمّد عبد الرحيم ـ دار الكتاب العربي ـ دمشق.

٣٥ ـ **شعر الفقهاء نشأته وتطوره حتى نهاية العصر العباسي**: الدكتور حسني ناعسة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م الطبعة الأولى ـ المكتبة العربية ـ حلب.

٣٦ ـ **صحيح البخاري** ١ ـ ٦: الإمام أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ضبطه ورقّمه، وذكر تكرار مواضعه، وشرح ألفاظه وجمله وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه الدكتور مصطفى ديب البغا ـ دار اليمامة ـ دمشق.

٣٧ ـ **صفة الصفوة** ١ ـ ٤: الإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ـ تحقيق محمود فاخوري، خرج أحاديثه الدكتور محمّد رواس قلعه جي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٣٨ ـ **طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار**: الفقيه أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي ـ تحقيق محمّد إبراهيم سليم ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة.

٣٩ ـ **طبقات الشافعية الكبرى** ١ ـ ٦: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ـ ١٣٢٤ هـ ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة.

٤٠ ـ **عبد الله بن المبارك**: عبد المجيد المحتسب ـ وزارة الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية ـ ١٣٩٢هـ.

٤١ ـ **عيون التاريخ**: محمّد بن شاكر بن أحمد الكتبي ـ تحقيق حسام الدين القدسي ـ ١٩٨٠م ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

٤٢ ـ **قصص وأخبار من رأى سيد الأبرار في المنام**: محمّد عبد الرحيم ـ دار الكتاب العربي ـ دمشق.

٤٣ ـ **كلمات القرآن تفسير وبيان**: فضيلة الشيخ محمّد مخلوف ـ دار خدمات القرآن الكريم ـ دمشق.

٤٤ ـ **لسان العرب** ١ ـ ٢: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن منظور الإفريقي المصري الأنصاري ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ المطبعة الكبرى الميرية.

٤٥ ـ **المتكلمة بالقرآن وقصص أخرى**: محمّد عبد الرحيم وحمدي زمزم ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ دار الإيمان ـ دمشق.

٤٦ ـ **مجمع الأمثال** ١ ـ ٢: أبو الفضل النيسابوري الميداني ـ حقّقه وفصّله وضبط غريبه، وشرحه محمّد محيي الدين عبد الحميد ـ دار النصر ـ دمشق.

٤٧ ـ **المحبة والشوق والأنس والرضا**: أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي ـ الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ـ شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ـ القاهرة.

٤٨ ـ **مختار الصحاح**: الإمام محمّد بن أبي بكر الرازي ـ ضبط وتخريج وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا ـ دار اليمامة ـ دمشق ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٩ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ١ ـ ٣: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ـ تحقيق وتعليق علي محمّد البيجاوي ـ الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٥٠ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف** ١ ـ ٢: شهاب الدين محمّد بن أحمد الأبشيهي ـ ١٩٨٦م ـ طبعة جديدة بإشراف المكتب العالمي للبحوث ـ دار الحياة ـ بيروت.

٥١ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ١ ـ ٢: العالم

العلّامة أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيومي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت.

٥٢ ـ **معجم لغة الفقهاء**: الدكتور ا. د. محمّد رواس قلعه جي والدكتور حامد صادق قنيبتي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ دار النفائس ـ بيروت.

٥٣ ـ **المعجم المدرسي**: محمّد خير أبو حرب ـ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م. وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية ـ دمشق.

٥٤ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث** ١ ـ ٨: أ. ي. فنسنك ـ ليدن ـ بريل.

٥٥ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: محمّد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٦ ـ **المعجم الوسيط** ١ ـ ٢: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمّد علي النجار، بإشراف عبد السّلام هارون ـ طبعة مصورة عن المكتبة العلمية طهران ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٧ ـ **مفتاح كنوز السنّة**: الدكتور أ. ي. فنسنك ـ نقله إلى العربية محمّد فؤاد عبد الباقي ـ طبعة مصوّرة عن سهيل اكيديمي لاهور ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٨ ـ **مناقب الشافعي**: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧١ ـ دار التراث ـ القاهرة.

٥٩ ـ **المنجد في الأعلام**: فرديناندتوتل اليسوعي ـ دار المشرق ـ بيروت.

٦٠ ـ **المنجد في اللغة**: لويس معلوف ـ دار المشرق ـ بيروت.

٦١ ـ **نساء فاضلات في ظل الإسلام**: محمّد عبد الرحيم الطبعة الأولى ١٣٠٩هـ ـ ١٩٨٩م دار اليمامة ـ بيروت ـ دمشق.

٦٢ ـ **الوسائل إلى معرفة الأوائل**: الحافظ جلال الدين عبد الرّحمن السيوطي ـ تحقيق الدكتور إبراهيم العدوي والدكتور علي محمّد عبد ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

٦٣ ـ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**: جمع وترتيب أَحمد عبد الجواد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

٤ ـ الفهرس العام

المقدمة ٩

عبد اللّه بن المبارك: بقلم المحدِّث الشيخ عبد الرَّحمن الأعظمي ١٥

(١)

من أقوال عبد اللّه بن المبارك ٤٣

(٢)

قالوا في: عبد اللّه بن المبارك ٤٩

(٣)

قصص عبد اللّه بن المبارك ٥٩

١ ـ لآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها ٦١

٢ ـ إنّها تحلُّ لنا لشدَّة فقرنا ٦٩

٣ ـ أنا أنفق عليه ٦٨

٤ ـ ردُّه وادفع له عشرة دراهم ٧١

٥ ـ هو الذي تخاطب ٧٢

٦ ـ يرحمك الله ٧٤

٧ ـ اجزله ما سبق به قلمي ٧٥

٨ ـ احمد الله على ما وفّق لك من قضاء دينك ٧٧
٩ ـ ما أحسن ذا، إذا تمّ ذا ٨٠
١٠ ـ أقسم عليك لتفعلن ٨٢
١١ ـ ما اشتهيته علق بقلبي ٨٣
١٢ ـ قد حفظتها ٨٤
١٣ ـ هذا أشربه لعطش القيامة ٨٥
١٤ ـ وأنت ممن يشنّع علينا ٨٦
١٥ ـ أذل لك بدني، ولا أُذل لك الحديث ٨٧
١٦ ـ موت عاجل ٨٨
١٧ ـ اذهب واحفر بئراً ٨٩
١٨ ـ إن قتلت.. فافعل كذا.. وكذا ٩٠
١٩ ـ نكره أن ننتفع بشيء ٩٢
٢٠ ـ ومن أنا حتى يكتب قولي؟ ٩٣
٢١ ـ إلهي.. اقبضني الساعة.. الساعة..! ٩٤
٢٢ ـ أبشر فإن الله حقق لك ذلك ١٠٠
٢٣ ـ قل لا إله إلاّ الله ١١٠
٢٤ ـ غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة ١١١
٢٥ ـ مسك الختام ١١٢

(٤)

ديوان عبد اللّه بن المبارك ١١٧

ـ أ ـ

١ ـ دفع البلايا ١١٩

ـ ب ـ
٢ ـ نحورنا بدمائنا تتخضّب ١٢٠
٣ ـ كفى الشيب واعظاً ١٢٣
٤ ـ إن السكوت من ذهب ١٢٤
٥ ـ لا خير في المال ١٢٦
ـ ت ـ
٦ ـ فراق الحياة ١٢٧
ـ ج ـ
٧ ـ لا إخالك ناجياً ١٢٨
ـ ح ـ
٨ ـ اغتنام السكوت ١٢٩
ـ د ـ
٩ ـ ابن عم النبي ١٣١
١٠ ـ بغداد مناخ للقارىء الصياد ١٣٣
١١ ـ ليتنا لم نولد ١٣٤
١٢ ـ أيها الطالب علماً ١٣٥
ـ ر ـ
١٣ ـ يد المعروف ١٣٧
١٤ ـ أبو حنيفة ١٣٨
١٥ ـ الزاد إلى القبر ١٤٠
١٦ ـ لا يظل مقدار نقير ١٤١

١٧ ـ دار البلاء ١٤٢
١٨ ـ التمس الرزق ١٤٤
١٩ ـ غاية الصبر ١٤٥
٢٠ ـ ليس تعصي الله كي تفتقر ١٤٧
٢١ ـ احذر الصرعة ١٤٨

ـ س ـ

٢٢ ـ التدليس ١٥٣
٢٣ ـ إن السفينة لا تجري على اليبس ١٥٤
٢٤ ـ ركن الرمح ١٥٥

ـ ص ـ

٢٥ ـ غصص المعاصي ١٥٦

ـ ع ـ

٢٦ ـ الجنان ١٥٨
٢٧ ـ العبد عبد النفس ١٥٩
١٢٨ ـ أهل الأمن في الدنيا هجوع ١٦٠
٢٩ ـ إن المحب لمن يحب مطيع ١٦٢
٣٠ ـ فيها السراير والجبار مُطَّلع ١٦٤
٣١ ـ إلى الله إشكو ١٦٦
٣٢ ـ بادر الورعا ١٦٧
٣٣ ـ لله در القنوع ١٦٨

- ق -

٣٤ ـ المرء مثل الهلال ١٦٩

٣٥ ـ شروط صحبة الطريق ١٧٠

- ل -

٣٦ ـ عفت جوارحهم ١٧٢

٣٧ ـ لا تكن سامري العرض ١٧٣

٣٨ ـ ذم الدنيا ١٧٤

٣٩ ـ كفاك مكروه السؤال ١٧٥

٤٠ ـ حفظ اللسان ١٧٦

- م -

٤١ ـ يا رب هب لي ١٧٧

٤٢ ـ تقوى الله ١٧٨

٤٣ ـ انشق اسمه من جهنَّم ١٨٠

٤٤ ـ الجليس الصالح ١٨١

٤٥ ـ هموم العيش ١٨٢

٤٦ ـ شروط الصحبة ١٨٤

- ن -

٤٧ ـ موت القلوب ١٨٥

٤٨ ـ مفسدو الدين ١٨٦

٤٩ ـ بادوا جميعاً ١٨٧

٥٠ ـ لا أرى حرمة يوماً لمبتدع ١٩٣

٥١ ـ لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ١٩٤

٥٢ ـ بغض الحياة ٢٠٢
٥٣ ـ وما الحي أبقى من الميتينا ٢٠٣
٥٤ ـ استعن بالله ٢٠٥
٥٥ ـ يا جاعل العلم له بازياً ٢٠٦
٥٦ ـ أصحاب الحوانيت ٢٠٨
٥٧ ـ خفي حنين ٢٠٩
٥٨ ـ الصمت والصدق ٢١٠

ـ ي ـ

٥٩ ـ أبو حنيفة إمام المسلمين ٢١٢

(٥)

الفهارس ٢١٥
١ ـ فهرس أوائل الآيات القرآنية الكريمة ٢٢٧
٢ ـ فهرس أوائل الأحاديث النبوية الشريفة ٢٢١
٣ ـ المراجع والمصادر ٢٢٣
٤ ـ الفهرس العام ٢٣١